MA-200-15/01

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة تلمسان

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

2013
Facult 2145

تخصص: حضارة إسلامية

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر

الموسومة بـ:

إسهامات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تطوير النظم الإسلامية و أثرها في الحضارة الإنسانية

من إعداد:

✓ مي

إشراف:

أ.د: محمد عباس

السنة الجامعية

1433 ـ 1434هـ / 2012م-2013م

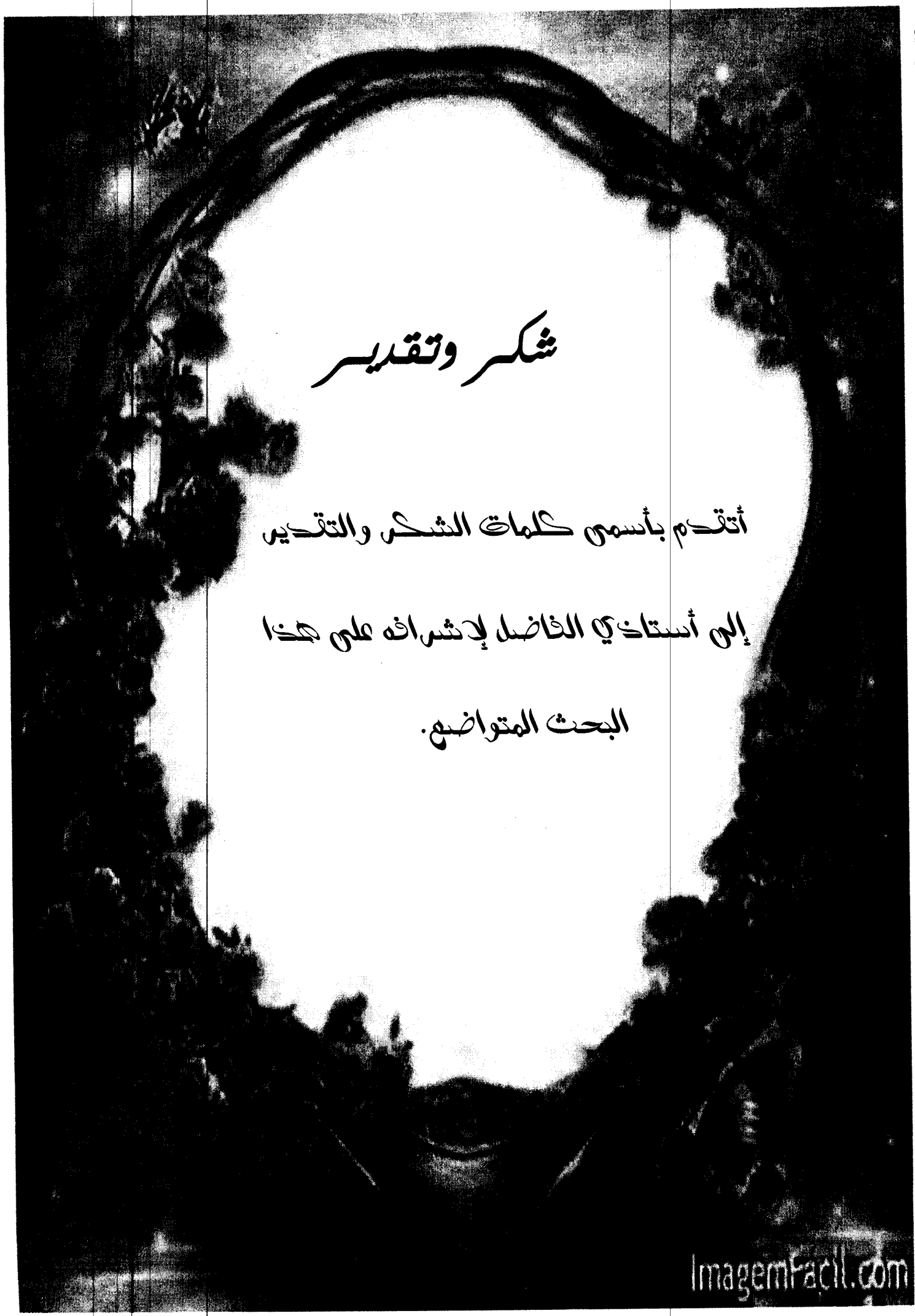
شكر وتقدير
أتقدم بأسمى كلمات الشكر والتقدير
إلى أستاذي الفاضل لإشرافه على هذا
البحث المتواضع.
ImagemFacil.com

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى الوالدين الكريمين اعترافا

بجميلهما،

وإلى أخي الذي أعانني في إنجازه وشجعني عليه،

وإلى أختي وجميع صديقاتي.

مقدمة

مقدمة

عرفت الحضارة الإسلامية مرحلة النضوج والتطور على يد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،بشخصيته القوية على الظلم واللينة مع الضعفاء والعادلة مع الإنسانية جمعاء، حيث انعكست صفاته وإيمانه القوي وخشيته من الله عزّ وجل على أعماله في مرحلة خلافته التي دامت عشر سنوات ،أرسى فيها عدّة إسهامات باجتهاده في تنظيم الدولة الإسلامية التي عرفت اتساعا واسعا في عهده وتدفقا في الأموال والخيرات، فعمد إلى تطوير النظم الإسلامية لتتماشى مع الظروف الجديدة، فشهدت حضارتنا بذلك أحسن تنظيم وسياسة في عهده مازالت إلى يومنا هذا تعتبر منهاجا في تسيير شؤون الدولة.

ويعود سبب اختياري لهذا الموضوع إلى المجهودات التي بذلها عمر بن الخطاب رضوان الله عليه ،من أجل تحقيق حكم عادل يقوم بتجسيد قيم الإسلام في أرض الواقع، فقد أنجز عدّة أعمال كان له السبق في وضعها، وما شدني إلى هذه الشخصية الإسلامية هو ما تحلى به من صفات كعدالته أوّلا وزهده وشدّته في الحق، ورحمته مع المسلمين وغير المسلمين.

وكان اختياري لهذا الموضوع مبنيا على الإشكالية التالية: ما هي الإسهامات التي قام بها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تطوير النظم الإسلامية سواء سياسيا أو اقتصاديا أو إداريا أو قضائيا؟ وفي ماذا تجلت؟ وما هو أثرها في الحضارة الإنسانية؟

وقد توزع الموضوع على مدخل وثلاثة فصول:

- **المدخل:** تحدثت فيه عن نشأة الحضارة الإسلامية على يد الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم تطرقت إلى نبذة من خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

- **الفصل الأول:** خصصته لبيان حياة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بدءا بنسبه ومولده ثم إسلامه وهجرته ثم صفاته والأحاديث الواردة في فضله.

- **الفصل الثاني:** تناولت فيه خلافته، فبدأت ببيعته رضي الله عنه ثم خلافته ونظام الحكم في عهده، بالإضافة إلى أهم ما ميّز إمارته وعدالته.

- **الفصل الثالث:** حاولت فيه إبراز إسهاماته رضي الله عنه في تطوير النظم الإسلامية، بدءا بتطويره لنظام الولاية على الأقاليم ثم النظام القضائي والنظام الإداري والنظام الاقتصادي، كما وقفت على أثر إسهاماته في الحضارة الإنسانية.

- **خاتمة:** عرضت فيها بعض النتائج التي استخلصتها من هذا الموضوع.

ولقد اعتمدت في هذه الدراسة على ما اقتضته طبيعة الموضوع من منهج تاريخي باعتبار أني أدرس حقبة زمنية محددة وهي خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في صدر الإسلام، وكذلك المنهج الوصفي التحليلي.

وكان اعتمادي في هذا العمل على مجموعة من المصادر والمراجع، منها كتاب ابن الجوزي "تاريخ عمر بن الخطاب"، وكتاب علي الصلابي "فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب"، وكتاب محمد حسين هيكل "الفاروق عمر".

أما عن الصعوبات فلم أواجه أيّة صعوبة سوى ضيق المدة الزمنية لإنجاز هذه المذكرة.

وفي الأخير أرجو أن أكون قد وفيت لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ببعض حقه بهذا البحث المتواضع.

مدخل

إنّ الله سبحانه وتعالى قد منّ على البشرية إذ بعث فيهم أنبياء ورسلا ليهدوهم إلى صراط الله المستقيم، ويخرجوهم من الظلمات إلى النور، ومن الشرك إلى التوحيد، ويبيّنوا لهم سبل الرشاد وترك عبادة الأوثان، وكان أوّل ما بدأ الله أن أرسل رسله وأنزل عليهم كتبه، فكانت الصحف على إبراهيم والزبور على داوود والتوراة على موسى والإنجيل على عيسى عليهم السلام، وكون الرسل قد كذبوا وأوذوا وقوتلوا وحرّفت كتبهم، مهّد الله لدين الحق دين الإسلام الذي ارتضاه الله للعباد جميعا، فيقول عزّ وجلّ: ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** ...﴾[1]، ويقول أيضا: ﴿ **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[2]، واصطفى من بين الخلائق النبي والرسول الذي يحمل مشقة تبليغ هذه الرسالة العظيمة، فكان الأحمد المحمود الخصال محمد بن عبد الله بن عبد المطلب خاتم النبيين ورسول الإسلام عليه أفضل صلوات ربي.

وبهذا كان الحدث الأساسي الفاعل في تاريخ العرب والمسلمين هو مجيء الإسلام بنزول الوحي في مكة، ممّا كان أساسا لكل التطورات، وتعدّ هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة والاستقرار فيها بداية لتكوّن الدولة الإسلامية، فالدولة الإسلامية هي الأساس الأول لكل التطورات، والفضل الأكبر في تشكيل هذا التطور وتوجيهه يرجع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد كان لرسالته التي اختاره الله لتبليغها،

[1]- سورة آل عمران، الآية : 19

[2]- سورة آل عمران، الآية: 85.

وإدراكه الفذ، ونظرته الثاقبة، وسجاياه المتميزة أكبر الأثر في بناء الدولة الإسلامية.[1]

وتكمن عبقرية الرسول صلى الله عليه وسلم في إدراكه الصائب لأحوال المجتمع، ونظرته النفاذة إلى ما تجب معالجته لتحقيق المثل التي دعت إلى تطبيقها الرسالة الإسلامية، فدور الرسول صلى الله عليه وسلم لا ينحصر في تبليغ رسالة الإسلام، بل إلى جهوده الموفقة في تحقيقها عمليا.[2]

ويجعلنا هذا القول نشيد ونفخر بنباغة هذا الرسول الكريم، وحكمته ومعرفته التي أسبغها الله عليه، حتى قال الله سبحانه وتعالى: ﴿... **وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ** ﴾[3]، فكان لا يهم بأمر ولا عمل إلا بيّن له الله الحكمة والمنفعة منه، أو عكس ذلك من أضرار وسلبيات تصحبه.

ولم تعدّ مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن قدم المدينة تقتصر على تبليغ الوحي والدعوة إلى دين الله فحسب، بل أصبح قائد أمة ورئيس دولة وعليه أن ينظم حياة جماعة من أتباعه في علاقاتهم الخاصة والعامة، وفي ميادين عديدة، لم يكن الجانب الديني إلا واحدا منها.[4]

ومن خلال هذا يتبيّن لنا أنّ دور الرسول صلى الله عليه وسلم قد عظم، فإلى جانب مسؤولية نشر الإسلام، فإنه قد أصبح حاكم الدولة

---

[1]- صالح أحمد العلي: دولة الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة، (دراسة في تكونها وتنظيمها)، بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط2، 2004، ص 6.

[2]- المرجع نفسه، ص 7.

[3]- سورة البقرة، الآية: 151.

[4]- نبيه عاقل: تاريخ عصر الرسول والخلفاء الراشدين، دمشق: مطبعة أبي العلاء، د.ط، 1396هـ/1976م، ص 82.

الإسلامية التي هي في اتساع مستمر،وأول قائد لها عليه النظر في أمور المسلمين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية إلى جانب الدينية.

وبعد استقرار الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة، رأى أن يضع الأسس التي يراها مهمة لتنظيم الحياة العامة، وذلك حتى تتضح الأمور وتتحدد العلاقات وتضبط المسؤوليات التي تترتب على جميع الفرقاء الذين يشتركون في العيش في مدينة واحدة، لاسيما وأنهم من أصول مختلفة ويعتنقون أكثر من ديانة، ولا تجمعهم وحدة الموقف أو المصلحة.[1]

ومن هذا نرى أنه كان على الرسول صلى الله عليه وسلم النظر إلى الفروقات الدينية التي كان يتكون منها المجتمع اليثربي، فيؤسس نظاما جديدا يوفق فيه بين المسلمين وغيرهم.

وقد عمد الرسول صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إلى يثرب إلى المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، ثم اتخذ مسجدا للصلاة بالمسلمين والاجتماع بصحابته، ثم اتخذ بعد ذلك نظاما للحياة الإجتماعية ليكون دعامة للوحدة بين سكان المدينة، فوضع الصحيفة التي تعتبر دستور دولته في المدينة.[2]

ومن هذا فإنّ أول ما قام به الرسول صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينة هو المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، فتصافحوا وتعانقوا وتحابوا في الله حتى كان الرجل من الأنصار يتنازل عن بعض من ماله

[1]- المرجع السابق، ص 86.
[2]- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية (تاريخ العرب منذ عصر الجاهلية حتى السقوط الدولة الأموية)، بيروت: دار النهضة العربية، د.ط، د.ت، ص 341.

لأخيه من المهاجرين ويتقاسم معه بيته، فيؤثرون على أنفسهم في سبيل إخوانهم المهاجرين ولو كانت بهم خصاصة، وفي هذا يصفهم الله عزّ وجل بقوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾[1]، وعمد أيضا إلى تشييد مسجد يجمع المسلمين على كلمة الحق أولا وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأداء الصلوات والمشورة فيه وتعليمهم أمور دينهم، وجعل النبي صلى الله عليه وسلم وثيقة تعتبر دستورا يختص بتنظيم الحياة من كل جوانبها.

وهي وثيقة هامة حدّدت العلاقات بين أهل المدينة المسلمين وبين يهودها، وصورت لنا الأحوال التي كان عليها المجتمع اليثربي، وإلى مدى تغيرت نظمه القديمة، وقد جعلت هذه الصحيفة المسلمين جميعا من مهاجرين وأنصار ومن جاهد منهم ومن تبعهم أمة واحدة، وأكّد القرآن الكريم على هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ...**﴾[2]، وبهذا ألغى النبي صلى الله عليه وسلم الفواصل والحدود القبلية، واندمج المسلمون في جماعة على اختلاف قبائلهم فارتبطوا فيما بينهم برابطة

[1]- سورة الحشر، الآية: 9.
[2]- سورة آل عمران، الآية: 110.

الإسلام فهم يرعون حقوق القرابة، والصحبة والجوار، ويتكافلون فيما بينهم.[1]

فقد أصبح المسلمون أمة واحدة وجسدا واحدا، لا تربطهم الصحبة والأخوة والجوار فقط، وإنّما تربطهم أقوى رابطة وهي العروة الوثقى، وبهذا طمس الإسلام الطبقية بين الناس، والفروقات الاجتماعية والجنسية، وافتخارهم بأنسابهم وأجدادهم.

وقد نصت الصحيفة على أمور أخرى أهمها:

- فتح المجال أمام اليهود الراغبين في الدخول في الإسلام، وضمان نفس الحقوق والواجبات لهم وعليهم.
- تقرير حرية الاعتقاد لليهود.
- الحق في فصل الخصومات بين أهل المدينة يعود لله ورسوله.
- الدفاع عن المدينة مسؤولية جماعية تتساوى فيها جميع الفئات.
- أوضحت الوثيقة أنّ الحرب مسؤولية جماعية وأنه في حال نشوبها على كل فريق من فرقاء المدينة أن يتحمل النفقة التي تترتب عليه.
- قررت حرمة المدينة، أي أنه حرم فيها ما يحرم في مكة.
- أوضحت الوثيقة شدّة الصلة بين المؤمن والمؤمن، هذه الصلة التي تبلغ حدّ التفضيل على القرابة بالتوالد.[2]

[1]- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، ص 349.
[2]- نبيه عاقل: تاريخ عصر الرسول والخلفاء الراشدين، ص 92.

وأهم ما نصت عليه هذه الصحيفة هو إبقاء اليهود في المجتمع اليثربي على أساس الحرية الدينية التي أقرها النبي صلى الله عليه وسلم، وأوضح لهم الحقوق والواجبات التي تجب عليهم.

وقد بيّنت هذه الصحيفة أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كانت له سلطات واضحة وسلطات متنوعة، فقد كانت له سلطات مدنية وسلطات قضائية حينما وكل إليه أمر القصاص والفصل بين النزاعات التي تنشب بين أفراد هذه الجماعات الداخلة في هذا العقد، كما أنّ هذه الصحيفة أعطته سلطات عسكرية واضحة، فقد كان له وحده أن يعلن الحرب والسلم وأن يقر المعاهدات، وأهم من هذا أنّ هذه الصحيفة بما ورد فيها من مبادئ قد رسمت نهجا جديدا في الحكم لم يألفه العرب من قبل، وهو أنها مزجت مزجا واضحا بين الدين والسياسة، أو بمعنى آخر جمعت بين الدين والدولة، وذلك حينما جعلت المؤمنين يخضعون لله أوّلا، ثم للنبي صلى الله عليه وسلم ثانيا باعتباره رسول الله وباعتباره منفذ كلمته.[1]

وعليه فإنّ الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتكفل شخصيا باتخاذ القرارات في أمور المسلمين مع غيرهم من المشركين، من حرب وهدنة ومفاوضات، وكان يقضي بين الناس في حال نزاعهم وخصامهم، ويؤلف بين هذا وذاك ويقضي بما أنزل الله في كتابه إذا كان الحكم أو الحدّ موجودا فيه.

[1]- حسن أحمد محمود: الدولة الإسلامية الأولى (عهد البعثة النبوية)، القاهرة: دار الفكر العربي، د.ط، 1419هـ/1998م، ص 67.

وهذا المنهج الجديد في الحكم والسياسة في غاية الأهمية في تاريخ العرب لأنّ الإسلام أوجد لهم نوعا من الحكم الإلهي، أو الحكم السماوي الذي يعتمد على كتاب منزل وشريعة سماوية.[1]

و يعتبرنهجا في الحكم والسياسة لم يعهده العرب من قبل، وهو الحكم بكتاب الله العزيز، والذي لا تصح سياسة الدولة إلا به وإن حاد الحكم عنه فسد، ولأنّه حكم إلهي وليس وضعيا من صنع البشر، قد يصيب صاحبه أو يخطئ فلا يرقى لدرجة الكمال.

وقد كان صلى الله عليه وسلم قائدا بصيرا إذا وجبت الحرب ودعته الحاجة اللازمة إليها، يعلم من فنونها ويصيب في اختيار وقته وتسيير جيشه، ويحسن رسم الخطط، ويأخذ بالمشورة الصالحة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يبدأ أحدا بالعدوان، ولكنه إذا علم بعزم الأعداء على قتاله لم يمهلهم حتى يهاجموه.[2]

ونستدلّ من هنا أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم كان قائدا محنكا ومحاربا شجاعا لا يعرف التراجع والتردد، بارع في تصميم الخطط، ويستعين بمشاورة الصحابة رضي الله عنهم، ويحسن التعامل مع الحرب والعدوان.

أما تدبير شؤون العامة فقد وفق في اتقاء الشرور أحسن تمام، فما عرض له تدبير أمر من معضلات الشقاق إلا أشار فيه بأعدل الآراء، وأدناها إلى السلم والإرضاء « ومن أمثلة ذلك ما صنعه يوم فضل

[1]- المرجع السابق، ص 67.
[2]- عباس محمود العقاد: عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم، بيروت: المكتبة المصرية، ط2، 1429ه/2008م، ص 38-39.

بالغنائم أناسا من أهل مكة الضعيف إيمانهم على الناس من الأنصار الذين صدقوا الإسلام وثبتوا على الجهاد، فلما غضب المفضلون لم يكن أسرع منه إلى إرضائهم بالحجة التي لا تغلب من يدين بها، بل تريه أنه هو الغالب الكاسب وأنها تصيب منه المقنع والإقناع في وقت واحد».[1]

قال ابن هشام في قسم المغانم: « فجاء رجال من المهاجرين فتركهم، فدخلوا وجاء آخرون فردهم، فلما اجتمعوا له أتاه سعد فقال: قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: "يا معشر الأنصار ما قالة بلغتني عنكم، وجدة وجدتموها عليّ في أنفسكم؟ ألم آتيكم ضلالا فهدا كم الله، وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم!" قالوا: بلى، الله ورسوله أمن وأفضل، ثم قال: "ألا تجيبونني يا معشر الأنصار؟" قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله؟ لله ولرسوله أمن وأفضل».[2]

ومن قول الأنصار نستشعر عدم رضائهم، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم كان أسرع ما يكون إلى إرضائهم ليس بالحجة فقط وحسن القول كما سنرى بل نرى أنّ قوله هذا نابع من عظمة حبه للأنصار، إذ قال لهم صلى الله عليه وسلم: (أما والله لو شئتم لقلتم، فلصدقتم: أتيتنا مكذبا فصدقناك، ومخذولا فنصرناك، وطريدا فآويناك، وعائلا فآسيناك. أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم، في لعلعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم، ألا ترضون يا معشر الأنصار، أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ فو الذي نفس

[1]-المرجع السابق، ص 69-70.
[2]- ابن هشام: السيرة النبوية، القاهرة: دار الفجر للتراث، ط3، 1431ه/2010م، ج4، ص 95.

محمد بيده، لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس شعبا وسلكت الأنصار شعبا، لسلكت شعب الأنصار. اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار). قال: (فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا رضينا برسول الله قسما وحظا ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتفرقوا).[1]

وقد كان لقول الرسول صلى الله عليه وسلم هذا أكبر الأثر، فبكى الأنصار حتى أخضلوا لحاهم لما علموه من قوة حبه لهم، وتفضيلهم بأن يعودوا به بينهم، في حين يعود الآخرون بشاة وبعير، أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يحبب بها الإسلام إلى قلوبهم، بينما يعود الأنصار بأحب الخلق إلى الله عزّ وجلّ وبالرحمة المهداة للعالمين.

وتميز صلى الله عليه وسلم بعاطفة إنسانية لا مثيل لها، فكان أرحم الناس بالصبيان والعيال ويراعي شعور الناس « فكان إذا لقيه أحد من الصحابة فقام معه قام معه، فلم ينصرف حتى يكون الرجل هو الذي ينصرف عنه، وإذا لقيه أحد من أصحابه فتناول يده ناوله إياها، فلم ينزع يده حتى يكون الرجل هو الذي ينزع يده منه، وكان إذا ودع رجلا أخذ بيده فلا يدعها حتى يكون الرجل هو الذي يدع يده ». وكان في آدابه الاجتماعية قدوة الرجل المهذب في كلّ زمان، فتعود صلى الله عليه وسلم إذا زار أحدا ألا يقوم من عنده حتى يستأذنه، ولم يرى قط مادا رجليه بين أصحابه، ولم يكن ينفخ في طعام ولا شراب ولا يتنفس في إناء.[2]

---

[1]- المصدر السابق، ص 95-96.

[2]- عباس محمود العقاد: عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم، ص 141.

وهذه أمثلة سقناها على سبيل المثال لا الحصر في آداب الرسول صلى الله عليه وسلم وخصاله الحميدة التي لا تعد ولا تحصى، منها الرحمة إذ كان رحيما مع زوجاته ومع المؤمنين كبارا كانوا أم صغارا، حتى أنّ رحمته مسّت الحيوانات أيضا وجميع الكائنات، وفي صفته هذه قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** ﴾[1]، وقوله أيضا: ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾[2]، ومن آدابه أيضا حسن الخلق حتى في أكله وشربه ومشيه وغيرها، حتى قال فيه عزّ وجل: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[3]، وبلغت عظمة هذه الصفة فيه حتى أنه كان خلوقا في تعامله مع المشركين والكفار الذين كانوا يؤذونه ويسبونه ويكيدون له، فصدق قوله تعالى في وصفه في القرآن الكريم.

وبعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن تمت الرسالة، وأكمل بناء الدولة واتساعها في أرجاء الجزيرة، كان على من يليه في رئاسة الدولة وتسيير شؤون الأمة متابعة نشر الرسالة وتوسيع الدولة.[4]

وكانت وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم حدثا أليما، فجع به المسلمون وصدم به عمر رضي الله عنه خاصة، وذلك بعد أن تمّت الرسالة وأرسى دعائم الدولة الإسلامية.

---

[1]- سورة الأنبياء، الآية: 107.
[2]- سورة التوبة، الآية: 128.
[3]- سورة القلم، الآية: 4.
[4]- صالح أحمد علي: دولة الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة، ص 7.

وقد ترك الرسول صلى الله عليه وسلم مسألة الخلافة شورى بين المسلمين ولم يوصي بأحد من أصحابه، فبعد وفاته صلى الله عليه وسلم اجتمعت الأنصار في المدينة في سقيفة بني ساعدة، وأرادوا أن يبايعوا رجلا منهم بالخلافة هو سعد بن عبادة سيد الخزرج، فجاء إليهم نفر من المهاجرين وكاد يقوم بينهم خلاف شديد لو لا أن قام أبو بكر رضي الله عنه خطيبا وأدلى لهم بالحجة على أنّ أمر العرب لن يصلح إلا إذا وليته قريش وأنّ هذا الأمر لقريش، فخشي الأنصار إن وليته الأوس فيقوم بينها وبين الخزرج خلاف، وإن وليته الخزرج أن يقوم بينها وبين الأوس خلاف، فلما أحس الأنصار بأنهم يوشكون على أن يعودوا لمثل العداوة التي كانوا عليها في الجاهلية، اطمأنوا إلى رأي أبي بكر، فعرض عليهم مبايعة عمر أو أبي عبيدة بن الجراح، فخشي عمر أن يترك الناس فيختلفوا على أنفسهم ويضيع الأثر الذي أحدثه كلام أبي بكر، فقام إلى أبي بكر وبايعه بالخلافة وقال له: « ألم يأمر النبي بأن تصلّي أنت يا أبا بكر بالمسلمين؟ فأنت خليفته، ونحن نبايعك، فنبايع خير من أحب رسول الله منا جميعا»، وقد بايعه عمر وأبو عبيدة وسبقهما بشير بن سعد، ثم المهاجرون والأنصار وتسمى بيعة السقيفة بالبيعة الخاصة، ولما كان الغد جلس أبو بكر على المنبر في المسجد وبايعه الناس البيعة الكبرى أو العامة.[1]

وعلى هذا كان رأي عمر صائبا، إذ بايع أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقدرهم على هذه المسؤولية العظيمة.

[1]- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام (السياسي، الديني، الثقافي، الاجتماعي)، بيروت: دار الجيل، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، د.ط، 1430ه/2009م، ص 168-169.

وكان أبو بكر رضي الله عنه من أفاضل الرجال علما وعقلا، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم دائم الثناء عليه وكثير الإعجاب به وينسب إليه قوله: (أرحم أمتي بأمتي أبو بكر)، وقوله: (نعم الرجل أبو بكر)، وإنه قال في مناسبة من المناسبات: (لو كان لي منكم خليل لكان هو خليلي ولكن خليلي الله).[1]

وأخلص رضي الله عنه في صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يشك أبدا في كل ما جاء به حتى سماه الرسول صلى الله عليه وسلم الصديق فآثره الرسول صلى الله عليه وسلم على من سواه، ويجمع أهل السير على أنه لم يتخلف عن رسول الله في مشهد من مشاهده وكان ممّن ثبت معه يوم أحد وحنين.[2]

ومنه نجد أنّ أبا بكر رضي الله عنه كان أكثر اتصالا برسول الله صلى الله عليه وسلم، ومؤمنا بكلامه، يصدقه في كلّ ما أنزل عليه ورآه فسماه الصديق، الذي صادق رسول الله وصدّقه.

وكان كريم اليد وكثير العطاء، أنفق ثروته في سبيل الله، وعرف أيضا بالتواضع والزهد مقتديا بالرسول صلى الله عليه وسلم، واشتهر رضي الله عنه بين الصحابة بالتفقه في الدين والعلم والفصاحة، ودقة الفهم وأصالة الرأي، ذكر النووي عن علي بن أبي طالب أنه قال: « قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر يصلي بالناس، وأنا حاضر غير

[1]- نبيه عاقل: تاريخ عصر الرسول والخلفاء الراشدين، ص 242.
[2]- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ص 169.

غائب وصحيح غير مريض، ولو شاء أن يقدمني لقدمني، فرضينا لدنيانا من رضي الله ورسوله عليه السلام لديننا».[1]

ويأخذنا هذا القول إلى أن نذكر بأنّ أبا بكر رضي الله عنه كان من السباقين في إنفاق ماله كله في سبيل الله لسخاء يده، إذ يصفهم القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ**﴾[2]، وقوله أيضا: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾.[3]

وأكثر ما عرف به أيضا تواضعه للناس وزهده، وعرف كذلك بحسن الرأي وأعدله وسعة علمه، وخطبته البليغة التي تهدئ كلّ عنيد وعصبيّ، وترضي طرفين متجادلين، وإلى جانب هذا كله اختاره الرسول صلى الله عليه وسلم ليكون هو من ينوبه في إمامة المسلمين عند غيابه على الرّغم من وجود كبار الصحابة رضي الله عنهم.

وعرف أبو بكر رضي الله عنه في جميع مواقفه بشجاعته وثباته في الخطوب، فقد عمل على إتمام نشر الدعوة وتوحيد المسلمين حين كاد

[1]- المرجع السابق، ص 170.
[2]- سورة التوبة، الآية: 20.
[3]- سورة التوبة، الآية: 111.

شملهم يمزق، هذا فضلا عما فعله مع المرتدين الذين حاربهم بجيوش المسلمين، وعندما هاجم المرتدون المدينة وجيش المسلمين بقيادة أسامة في الشام خرج رضي الله عنه بنفسه للقائهم، فطلب الصحابة ألا يعرّض نفسه للخطر فأبى وقال: والله لا أفعل ولأواسينكم بنفسي، فصبر حتى جزاه الله سبحانه وتعالى بالنصر والظفر بهم وأعلى شأن الإسلام، وجعل المسلمين جندا للجهاد في سبيل الله.[1]

ومن هذا القول نرى شدة شجاعة أبي بكر وحزمه في مواجهة المرتدين بنفسه والقضاء على الردة، فكان سيفه حادّا على رقاب المرتدين وحاربهم وقعد لهم كل مرصد حتى نصره الله، وعمل على إتمام بث الدعوة في خارج الجزيرة العربية.

وكان حكمه يميل إلى الرفق والكياسة، لا يغفل عن اليقظة والحزم حيث وجب الحزم واليقظة، فكان يتقصى الأخبار ويسأل الرعية: هل من أحد يتشكى ظلامه؟ فكان ينصف المظلوم على سنته التي استنها، وهي أنّ الكبير صغير حتى يأخذ الحق منه.[2]

وبهذا اجتمعت فيه رضي الله عنه صفات كثيرة جعلت منه خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم بما يرضي الله ومشى على نهج النبي صلى الله عليه وسلم، فكان رقيقا لينا في حكمه إلى جانب حزمه في أمور الدين ونصرة الحق، فكان يشرف بنفسه على تقصي أمور رعيته حتى يرجع للمظلوم حقه ويقتص من الظالم.

---

[1]- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ص 17.

[2]- عباس محمود العقاد: عبقرية الصديق رضي الله عنه، بيروت: المكتبة المصرية، ط2، 1429ه/2008م، ص 112.

وبعد وفاته رضي الله عنه وتولي عمر بن الخطاب الخلافة اتسعت الدولة الإسلامية في عهد عمر اتساعا كبيرا عما كانت عليه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخليفته الأول، فاستلزم هذا الاتساع تطويرا في طرق إدارتها، واجتهادا في تأصيل ذلك التطوير، ويسير وفق الشريعة وعلى مقتضى أهدافها، وكان عمر بشخصيته الجريئة وقدرته الإدارية قادرا على تأسيس كثير من المؤسسات حتى نسب إليه أولويات كثيرة كان أول من فعلها.[1]

فقد استهل حضارة وأقام حكومة ووضع فيها الدواوين وأصول الإدارة والقضاء واتخذ لها بيت المال.[2]

فبعدما توالت الفتوحات في عهد عمر واتسعت رقعة المسلمين وحلت شعلة الإسلام ببلاد الروم والفرس والجزيرة والعراق، قام عمر بوضع أساس وقواعد جديدة، وتنظيمات إدارية وسياسية وقضائية تمس مختلف جوانب الحياة كان يتطلبها اتساع البلاد الإسلامية.

وبهذا كان عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه عهد فتوح انتصر فيه المسلمون، حيث امتدت الدولة الإسلامية حتى جاورت أفغانستان والصين شرقا وتونس غربا والأناضول وبحر قزوين شمالا وبلاد النوبة جنوبا، فكان لابدّ لهذه الدولة من تنظيم حتى تستمر، فقدر لعمر بن الخطاب أن

---

[1]- حمدي شاهين: الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، القاهرة: دار القاهرة، ط1، 1423ه/2003م، ص 152-153.

[2]- عباس محمود العقاد: عبقرية عمر رضي الله عنه،الجزائر: مكتبة الرحاب، د.ط، 1410ه/1989م، ص 105.

يكون رائد هذا التنظيم سائرا على نهج النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصديق رضي الله عنه.[1]

فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعدة إسهامات في تطوير الحضارة الإسلامية التي تأسست على يد الرسول صلى الله عليه وسلم، وأعاد تماسكها الخليفة الأول أبو بكر رضي الله عنه بعد أن كادت الدولة تتفكك بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم كان على عمر بن الخطاب أن ينظم هذه الدولة بعد استقرارها واتساعها، فقام بتطوير النظم الإسلامية، فطور النظام السياسي والاقتصادي والإداري والقضائي، وكان له الدور البارز والعظيم في عظمة الحضارة الإسلامية في صدر الإسلام.

[1]- محمد سهيل طقوش: تاريخ الخلفاء الراشدين (الفتوحات والإنجازات السياسية)، بيروت: دار النفائس، ط1، 1424هـ/2003م، ص 323.

الفصل الأول
عمر ابن الخطاب حياته

1. النسب والمولد.

أ. النسب.

ب. المولد.

2. إسلامه.

3. هجرته.

4. صفاته والأحاديث الواردة في فضله.

أ. صفاته.

ب. الأحاديث الواردة في فضله.

1- النسب والمولد:

أ. النسب:

"هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي القرشي العدوي، أبو حفص".[1]

"يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في كعب ولقبه الفاروق".[2]

"وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وقيل: حنتمة بنت هشام بن المغيرة، فعلى هذا تكون أخت أبي جهل، وعلى الأول تكون ابنة عمه. قال أبو عمر: ومن قال ذلك- يعني بنت هشام- فقد أخطأ، ولو كانت كذلك لكانت أخت أبي جهل والحارث ابني هشام، وليس كذلك وإنما هي ابنة عمهما، لأنّ هشاما وهاشما ابني المغيرة أخوان، فهاشم والد حنتمة، وهشام والد الحارث، وأبي جهل، وكان يقال لهاشم جد عمر: ذو الرمحين.

وقال ابن منده: أم عمر أخت أبي جهل. وقال أبو النعيم: هي بنت هشام أخت أبي جهل، وأبو جهل خاله. ورواه عن ابن إسحاق.

وقال الزبير: حنتمة بنت هاشم فهي ابنة عم أبي جهل. كما قال أبو عمر وكان لهاشم أولاد فلم يعقبوا.

"يجتمع عمر وسعيد بن زيد- رضي الله عنهما- في نفيل".[3]

وكان نفيل جد عمر شريفا نبيلا تتحاكم إليه قريش.

---

[1]- ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض- الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1424هـ/2003م، ج4، ص 137-138.

[2]- عاطف عبد الوهاب حماد: شجرة نسب الخلفاء الراشدين والأحاديث الصحيحة في مناقبهم- رضي الله عنهم- المدينة المنورة: مطابع الرشيد، ط1، 1419هـ/1998م، ص 14.

[3]- ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص 138.

وتعدّ عشيرة بني عدي من أوسط قريش قوة وجاها، على أنها لم تبلغ من المكانة في مكة قبل الإسلام ما بلغه بنو هاشم وبنو أمية وبنو مخزوم، إذ لم يكن لها من الثروة ما لهم، ومع ذلك نافست بني عبد شمس على الشرف وحاولت أن تبلغ مكانتهم، إلا أنها كانت على جانب كبير من العزة والمنعة، شغل أفرادها منصب السفارة والحكم في المنافرات، فكانوا المتحدثين عن قريش إلى غيرها من القبائل فيما ينجم من خلاف يتوجب حسمه بالمفاوضات، وبفعل التنافس العشائري، اضطر بنو عدي في حياة الخطاب، والد عمر، إلى الجلاء عن منازلهم القائمة عند الصفا، وانحازوا إلى عشيرة بني سهم، وأقاموا في جوارها.[1]

ب. <u>المولد:</u>

"ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة، روي عن عمر أنه قال: ولدت بعد الفجار الأعظم بأربع سنين.

وكان من أشرف قريش وإليه كانت السفارة في الجاهلية، وذلك أنّ قريشا كانوا إذا وقع بينهم حرب أو بينهم وبين غيرهم، بعثوه سفيرا، وإن نافرهم منافر أو فاخرهم مفاخر، رضوا به، بعثوه منافرا أو مفاخرا".[2]

ونشأ في مكة وترعرع في بيئة وثنية في ظل والده الخطاب، وكان فظّا عليه يكفله بالأعمال الشاقة، ويضربه ضربا مبرحا إذا قصر في ذلك العمل.

---

[1]- محمد سهيل طقوش: تاريخ الخلفاء الراشدين، ص 173.
[2]- ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص 138.

وقد تأثر بالبيئة التي عاش فيها كغيره من فتيان مكة وشبابها، تعلم الفروسية والقتال حتى أضحى من أبطال قريش في الجاهلية، مهاب الشخصية، مرهوب الجانب، أجاد الكتابة والخطابة والمفاخرة وتذوق الشعر و رواه.[1]

واشتغل بالتجارة في شبابه حيث سافر إلى الشام واليمن، وكان مهيبا حازما ومن ذوي الشدة والبأس في مكة.[2]

[1]- محمد سهيل طقوش: تاريخ الخلفاء الراشدين، ص 173-174.
[2]- كمال السيد أبو مصطفى- أسامة أحمد حماد: في تاريخ الدولة العربية الإسلامية (تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية)، الإسكندرية: مركز الإسكندرية، د.ط، 2009م، ص 253.

2- إسلامه:

كان إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه عزة للإسلام وسندا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكافة المسلمين، وحدثا بارزا في تاريخ الدين الإسلامي وبشرى لإعلان الحق ونصرة الدين، فبعدما أسلم قوي عزم المؤمنين واستندوا به وبحمزة رضي الله عنه، كونهما من أقوى رجال قريش شدة وبأسا، فبإسلامه استطاع المسلمون مواجهة قريش والصلاة عند الكعبة، إذ لم يجرؤ أحد من المسلمين على الصلاة عند الكعبة حتى أسلم عمر رضي الله عنه فقاتل المشركين وصلى هو ومن معه، وهذا ما نلتمسه من قول ابن إسحاق.

"قال ابن إسحاق: ولما قدم عمر بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة على قريش، ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وردهما النجاشي بما يكرهون، وأسلم عمر بن الخطاب، وكان رجلا ذا شكيمة لا يرام ما وراء ظهره، امتنع به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبحمزة حتى عازوا قريشا، وكان عبد الله بن مسعود يقول: ما كنا نقدر على أن نصلي عند الكعبة، حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة، وصلينا معه، وكان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة".[1]

"أخرج الترمذي عن ابن عمر: « أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بعمر بن الخطاب، أو بأبي

[1]- ابن هشام: السيرة النبوية، ج1، ص 220.

جهل بن هشام) وأخرجه الطبراني من حديث ابن مسعود وأنس- رضي الله عنهم- وأخرج الحاكم عن ابن عباس: « أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اللهم أعزّ الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة)، وأخرجه الطبراني في الأوسط من حديث أبي بكر الصديق، وفي الكبير من حديث ثوبان".[1]

وقد تعددت الروايات التاريخية حول إسلام عمر رضي الله عنه وأشهرها:

"قال ابن إسحاق: وكان إسلام عمر فيما بلغني أنّ أخته فاطمة بنت الخطاب وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وكانت قد أسلمت وأسلم بعلها سعيد ابن زيد، وهما مستخفيان بإسلامهما من عمر، وكان نعيم بن عبد الله النحام من مكة، رجل من قومه، من بني عدي بن كعب قد أسلم، وكان أيضا يستخفي بإسلامه فرقا من قومه، وكان خباب بن الأرث يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن، فخرج عمر يوما متوشحا سيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلقيه نعيم بن عبد الله، فقال له: أين تريد يا عمر؟ فقال: أريد محمدا هذا الصابئ، الذي فرق أمر قريش وسفه أحلامها، وعاب دينها، وسب آلهتها، فأقتله، فقال له نعم: والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمدا! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟.[2]

---

[1]- السيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق: أحمد إبراهيم زهوة- سعيد بن أحمد العيد روسي، بيروت: دار الكتاب العربي، د.ط، 1426هـ/2005م، ص 88.

[2]- ابن هشام: السيرة النبوية، ج1، ص 220.

نستنتج من هذا أنّ عمر كان شديدا على المسلمين وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل إسلامه، متمسكا بدينه، ولما رأى ما آلت إليه قريش بعد ظهور الدين الجديد، عزم على قتل محمد صلى الله عليه وسلم، الرسول الذي اختاره الله لتبليغ رسالة الإسلام، ولكن نعيم بن عبد الله فاجأه إذ أشار إليه بأن يعود لأهل بيته فينظر في أمرهم أوّلا، فهمّ عمر إلى السؤال عنهم مباشرة.

"قال: وأيّ أهل بيتي؟ قال: ختنك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو، وأختك فاطمة بنت الخطاب، فقد والله أسلما، وتابعا محمدا على دينه، فعليك بهما، قال: فرجع عمر عامدا إلى أخته وختنه، وعندهما خباب بن الأرث معه صحيفة، فيها: «طه» يقرئهما إياها، فلما سمعوا حس عمر، تغيب خباب في مخدع لهم، أو في بعض البيت، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها، وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليهما".[1]

كان عمر شديدا حتى مع أهل بيته قبل إسلامه، فلما سمعت أخته وختنه قدومه خبّآ الصحيفة واختبأ خباب أيضا، وذلك لمعرفتهم بما سيلقونه منه إذا علم بأمر إسلامهم، فكانوا يخافونه ويهابونه، ولكن عمر كان قد سمع قراءة تصدر من البيت.

"فلما دخل قال: ما هذه الهينمة التي سمعت؟ قالا له: ما سمعت شيئا، قال: بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدا على دينه، وبطش بختنه سعيد بن زيد، فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها،

[1]- المصدر السابق.

فضربها فشجها، فلما فعل ذلك، قالت له أخته وختنه: نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله، فاصنع ما بدالك. فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع، فارعوى، وقال لأخته: أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرءون آنفا أنظر ما هذا الذي جاء به محمد، وكان عمر كاتبا، فلما قال ذلك، قالت له أخته: إننا نخشاك عليها، قال: لا تخافي، وحلف لها بآلهته ليردنها إذا قرأها إليها، فلما قال ذلك، طمعت في إسلامه، فقالت له: يا أخي إنك نجس، على شركك، وإنه لا يمسها إلا الطاهر، فقام عمر فاغتسل، فأعطته الصحيفة، وفيها: «طه» فقرأها، فلما قرأ منها صدرا، قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه!".[1]

نرى هنا مدى شدة عمر وتنكيله بالمسلمين حتى أنه ضرب ختنه ثم لم يتردد في ضرب أخته، ولكن شدته هذه اتصلت بالرحمة فسرعان ما ندم ودخلت الشفقة والرحمة إلى قلبه عندما رأى ما فعله بأخته، فسألها أن تعطيه الصحيفة التي كان قد سمعهم يقرؤونها فأعطته إياها فقرأها، فإذا بعمر يستحسن هذا الكلام ويدخل قلبه.

"فلما سمع ذلك خباب خرج إليه، فقال له: يا عمر، والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه، فإني سمعته أمس وهو يقول: اللهم أيّد الإسلام بأبي الحكم بن هشام، أو بعمر بن الخطاب، فالله الله يا عمر. فقال له عند ذلك عمر: فدلني يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم، فقال له خباب: هو في بيت عند الصفا، معه، فيه نفر من أصحابه".[2]

---

[1]- المصدر السابق، ص 220.

[2]- المصدر نفسه، ص 221.

وهنا طمع خباب بإسلام عمر بعدما سمع عمر يستحسن كلام الله عزّ وجل، فدعا أن يكون هو من خصه الله بدعوة نبيه، فطلب عمر من خباب أن يرشده إلى مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيذهب إليه كي يسلم، فدله خباب، فتوشح عمر سيفه وقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو مع أصحابه، وهنا كان عمر رضي الله عنه في طريقه إلى دين الله الحق الذي هداه الله إليه، فكانت بداية اهتداء عمر وتركه للشرك والظلال.

"فأخذ عمر سيفه فتوشحه، ثم عمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فضرب عليهم الباب، فلما سمعوا صوته، قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنظر من خلال الباب فرآه متوشحا السيف، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فزع، فقال: يا رسول الله، هذا عمر بن الخطاب متوشحا السيف، فقال حمزة بن عبد المطلب: فأذن له، فإن كان جاء يريد خيرا بذلناه له، وإن كان يريد شرا قتلناه بسيفه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ائذن له»، فأذن له الرجل، ونهض إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه في الحجرة فأخذ بحجزته، أو بمجمع ردائه، ثم جبذه به جبذة شديدة وقال: ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ فقال عمر: يا رسول الله، جئتك لأومن بالله وبرسوله، وبما جاء من عند الله، قال: فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب الرسول أنّ عمر قد أسلم.[1]

[1]- المصدر السابق، ص 221-222.

وهكذا أعلن عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه آمن بالله وبرسوله الكريم، ففرح بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون، وعلموا أنهم سيستطيعون ردع قريش بإسلامه وسيزيد عزمهم وتقوى إرادتهم.

فلما أسلم عمر رضي الله عنه قاتل المشركين حتى يصلي هو ومن معه عند الكعبة، ولم يمنعه الخوف ولا التردد ولا كثرة المشركين الذين سيصدونه، وذلك لقوة شكيمته، فإذا عزم على أمر فعله، فلما رغب في الصلاة عند البيت الحرام صلى وصلى معه المؤمنون وقد كانوا لا يقدرون على الصلاة فيه من قبل، وتعدى فضل إسلامه في غير هذا الموقف، فكثرت الفتوح بإسلامه وانتصر المسلمون بهجرته إلى المدينة، أما خلافته فسادتها الرحمة والعدل والمساواة، وهذا ما تدلنا عليه بعض الأحاديث والروايات منها:

"وعن القاسم بن عبد الرحمن قال :قال عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه-: كان إسلام عمر فتحا، وكانت هجرته نصرا، وكانت إمارته رحمة، ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلي إلى البيت حتى أسلم عمر، فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا فصلينا".[1]

"وأخرج ابن سعد والحاكم عن حذيفة قال: لما أسلم عمر كان الإسلام كالرجل المقبل لا يزداد إلا قربا، فلما قتل عمر كان الإسلام كالرجل المدبر لا يزداد إلا بعدا. وأخرج الطبراني عن ابن عباس- رضي الله

[1] - ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص144.

عنه- قال: أول من جهر بالإسلام عمر بن الخطاب إسناده صحيح حسن".[1]

وقد كان المسلمون قبل إسلام عمر يسلمون سرا حتى لا يتعرض لهم المشركون فيعذبونهم أشدّ العذاب ويفتنونهم عن دينهم، ولما أسلم عمر جهر بإسلامه وأعلنه أمام ملأ قريش، وانتصف به المسلمون ممّن كان قد نكّل بهم واشتدّ عليهم، فكان عمر بإسلامه كالحائط الذي يستندون عليه، إذا كان بينهم لا يخافون أحدا ولا يتراجعون، فأعطى لأصحابه رضي الله عنهم الدعم والقوة بجرأته التي لا يخشى بها لومة لائم.

"وأخرج ابن سعد عن صهيب قال: لما أسلم عمر- رضي الله عنه- أظهر الإسلام ودعا إليه علانية، وجلسنا حول البيت حلقا، وطفنا بالبيت، وأنصفنا ممّن غلظ علينا، ورددنا عليه بعض ما يأتي به.

وأخرج ابن سعد عن أسلم مولى عمر قال: أسلم عمر في ذي الحجة من السنة السادسة من النبوة، وهو ابن ست وعشرين سنة".[2]

وأراد عمر رضي الله عنه أن يغيض بإسلامه أشدّ الناس عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقصد بيت أبي جهل وطرق بابه وأخبره أنه قد آمن بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ونرى أنّ هذا تعجيز لأبي جهل، أراد به عمر رضي الله عنه أن يلفت انتباه أبي جهل على أنه لا يخشاه ولن يخشاه، ويعجزه بأنه لن يستطيع فعل شيء وإن كان يجرؤ على ذلك فليفعل، فلم يستطع أبو جهل إلا سبه و إغلاق الباب في وجهه، وفي هذا يروي لنا ابن إسحاق بقوله: "حدثني عبد الرحمن بن الحارث

[1]- السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 92.
[2]- المصدر نفسه.

عن بعض آل عمر، أو بعض أهله، قال: قال عمر: لما أسلمت تلك الليلة، تذكرت أيّ أهل مكة أشدّ لرسول الله صلى الله عليه سلم عداوة حتى آتيه فأخبره أني قد أسلمت قال: قلت أبو جهل، وكان عمر ابن لحنتمة بنت هشام بن المغيرة، قال: فأقبلت حين أصبحت حتى ضربت عليه بابه. قال: فخرج إليّ أبو جهل، فقال: مرحبا وأهلا يا ابن أختي، ما جاء بك؟ قلت: جئت لأخبرك أني قد آمنت بالله وبرسوله محمد، وصدقت بما جاء به، قال: فضرب الباب في وجهي وقال: قبحك الله، وقبح ما جئت به".[1]

[1]- ابن هشام: السيرة النبوية، ج1، ص 224.

3- هجرته:

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه جريئا وصريحا لا يخشى أحدا، فلما أسلم جهر إسلامه أمام مكة كلها، لأنه لا يحب الإختفاء ولا الإحتماء بأحد ولا يبالي بالمشركين فكذلك كانت هجرته، فلما أراد الهجرة إلى المدينة أبى إلا أن تكون علانية.

" يقول ابن عباس رضي الله عنه: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ما علمت أنّ أحدا من المهاجرين هاجر إلا متخفيا، إلا عمر بن الخطاب، فإنه لما همّ بالهجرة، تقلد سيفه، وتنكب قوسه، وانتضى في يده أسهما، واختصر عنزته، ومضى قبل الكعبة، والملأ من قريش بفنائها، فطاف بالبيت سبعا متمكنا، ثم أتى المقام، فصلى متمكنا، ثم وقف على الحلق واحدة، واحدة، فقال لهم: شاهت الوجوه، لا يرغم الله إلا هذه المعاطس، من أراد أن تثكله أمه، و يؤتم ولده، أو يرمل زوجه فليلقني وراء هذا الوادي. قال علي رضي الله عنه: فما تبعه أحد إلا قوم من المستضعفين علمهم وأرشدهم، ومضى لوجهه".[1]

نلاحظ من خلال هذه الرواية أنّ عمر رضي الله عنه كان الوحيد الذي أعلن هجرته أمام قريش، بل وتحداهم بها فلم يجرؤ أحد على ردعه ومنعه، فلم يتبعه أحد منهم لما علموه منه من قول وفعل، واحتمى به بعض من المهاجرين الضعفاء فصحبهم في هجرته واستطاعوا الهجرة بفضله.

---

[1]- علي محمد، محمد الصلابي: فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب (أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه شخصيته وعصره)، الإمارات: مكتبة الصحابة، القاهرة: مكتبة التابعين، ط1، 1423هـ / 2002م، ص 28.
عنزته: العنزة: عصا في قدر نصف الرمح، وهي أطول من العصا وأقوى من الرمح.
المعاطس: الأنوف.

"وكان قدوم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى المدينة قبل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم إليها، وكان معه من لحق به من أهله وقومه وأخوه زيد بن الخطاب، وعمرو وعبد الله ابنا سراقة بن المعتمر، وخنيس بن حذافة السهمي، وابن عمه سعيد بن زيد، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، و وافد بن عبد الله التيمي، حليف لهم، وخولى بن أبي خولى، ومالك بن أبي خولى، حليفان لهم من بني عجل وبنو البكير، وإياس وخالد، وعاقل، وعامر، وحلفاؤهم من بني سعد بن ليث، فنزلوا على رفاعة بن عبد المنذر في بني عمرو بن عوف بقباء".[1]

"وأخرج عن البراء- رضي الله عنه- قال: أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عمير، ثم ابن أم مكتوم، ثم عمر بن الخطاب في عشرين راكبا، فقلنا: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: هو على أثري، ثم قدم النبي عليه الصلاة والسلام وأبو بكر- رضي الله عنه- معه".[2]

وتدلنا هاتين الروايتين أنّ عمر كان من الأوائل الذي دخلوا المدينة، وكان وصوله قبل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه.

[1]- سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث: أطلس الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الرياض: مكتبة العبيكان، د.ط، 1425هـ/2005م، ص 20.

[2]- السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 93.

فنزل بالمدينة، وأصبح وزير صدق لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وآخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين عويم بن ساعدة، وقيل بينه وبين عتبان بن مالك، وقيل بينه وبين معاذ بن عفراء.[1]

ومن هذا نجد أنّ عمر رضي الله عنه كان عونا ودعما لأصحابه ولمن أراد الهجرة من المسلمين، فلبى نداء كلّ من استغاث به واستعان به، وأصبح رضي الله عنه يد عون لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وجد في خدمة دينه وعقيدته بالأقوال والأفعال، فكان نصرا للإسلام والمسلمين.

[1]- علي محمد الصلابي: فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب، ص 32.

4- صفاته والأحاديث الواردة في فضله:

أ. صفاته:

تعددت صفاته رضي الله عنه من عدل ورحمة وفطنة وغيرة، فكان عادلا يساوي بين أقرب الناس وسائر رعيته في إقامته الحد وإظهار الحق، فساوى بين أبنائه وكافة المسلمين حتى بلغ عدله مضرب المثل، وكانت خلافته رحمة للمستضعفين والفقراء والمحتاجين، وكان قوي الإيمان، واسع العلم، زاهدا في الدنيا راغبا عن متاع الدنيا وزخرفها.

وقد كانت الرحمة من صفاته التي وازنت فيه العدل أحسن موازنة فقد أحب العدل لمجابهة الأقوياء المعتدين، كما أحبه لنجدة الضعيف المعتدى عليه.[1]

"وكان عمر رضي الله عنه شديدا في محاسبة نفسه وأهله، وكان يقسو على نفسه في طعامه، وهو العليم بأطايبه، ويقول: « لنحن أعلم بلين الطعام من كثير من أكلته، ولكننا ندعه ليوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع فيه كل ذات حمل حملها». وأراد أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم- وهم يرون شدته على نفسه- أن يكلموه في الرفق بها، ولكنهم هابوه فكلموا ابنته حفصة في ذلك، فأتت إليه وأخبرته ما قالوا، فقال عمر: غششت أباك ونصحت لقومك، ولما كررت طلبها في وقت آخر إشفاقا عليه قال لها: سأخاصمك إلى نفسك، أما تذكرين ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى من شدة العيش؟، فمازال يذكرها بذلك حتى أبكاها، ولما حدثه العباس بن عبد المطلب في الأمر نفسه قال:

[1]- عباس محمود العقاد: عبقرية عمر، ص 39.

« إنه مضى صاحبان لي، عملا عملا وسلكا طريقا، وإني إن عملت بغير عملهما سلك بي طريق غير طريقهما.[1]

وكان عمر شديدا مع أهله، فكان إذا أراد أن ينهى الناس عن شيء تقدم إلى أهله فقال: لا أعلم أحدا وقع في شيء مما نهيت عنه إلا أضعفت له العقوبة، واتصف بأنه كان شديدا في الحق، مجاهرا برأيه، مدافعا عن الإسلام، قاسيا على المشركين، وكان حريصا على كرامة المسلمين، يحميهم وينصفهم من عدوان الولاة، فكان يفتح صدره لأية شكاية في أحد عماله، وكان حريصا على مصالح المسلمين وأموالهم.[2]

نلمس من هذا القول مدى غلظة عمر على أهله، ومدى حرصه على محاسبتهم أوّلا ثم محاسبة رعيته ثانيا، لأنه القائد الذي يقود أهل بيته ورعيته فإن نهاهم انتهوا وإن تركهم هلكوا وانغمسوا في المفاسد، ولعلنا نذكر هنا أنه من بين الأسباب التي أدت إلى سقوط هذه الدولة العظيمة والقوية والمترامية الأطراف والتي بنى مبادئها الرسول صلى الله عليه وسلم هو تركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكان أمراؤهم وحكامهم لا ينهون أهلهم وذويهم عن إتيانهم بمنكر أو انغماسهم في الملذات والرذائل، وفي هذا نذكر سبب لعن بني إسرائيل وغضب الله عليهم، إذ يقول عزّ وجلّ: ﴿ **كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ** ...﴾[3]، ولعلّ سبب اصطفاء هذه الأمة وتفضيلها على سائر الأمم أنها تأمر

[1]- حمدي شاهين: الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، ص 123.
[2]- محمد عبد الله عودة- حكمت فريحات- إبراهيم ياسين الخطيب: مختصر التاريخ الإسلامي، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، د.ط، 1989م، ص 17-18.
[3]- سورة المائدة، الآية: 79.

بالمعروف وتنهى عن المنكر، وفي هذا يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ...﴾[1]، فكان حكم عمر رضي الله عنه تجسيدا لقول الله عزّ وجل في أرض الواقع.

"وكان عمر رضي الله عنه غيورا حتى قال أكبر العارفين به محمد عليه الصلاة والسلام: **(إنّ الله غيور يحب الغيور وإنّ عمر غيور)**، وتحدث إلى صحبه يوما وعمر فيهم فقال: (بينما أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت: لمن هذا القصر؟ فقالوا: لعمر. فذكرت غيرته فوليت مدبرا)، فبكى عمر، وقال كالمعتذر: "أعليك أغار يا رسول الله؟".[2]

نرى أنّ عمر كان غيورا ولكن لا يغار إلا على فعل خير أو إقامة حق أو نصرة مظلوم، أو على أمر يقربه من الله عزّ وجل، ونذكر هنا غيرته من سيدنا أبي بكر رضي الله عنه إذ كان سباقا في أمور الدين وفعل الخيرات، فلم يعزم عمر على شيء فيه مرضاة لله عزّ وجل إلا وسبقه إليه أبو بكر رضي الله عنه، وهذا ما نفهمه من قول الرسول صلى الله عليه وسلم في غيرة عمر: **(إنّ الله غيور يحب الغيور وإنّ عمر غيور)**، إذ كانت غيرته حميدة شبهها الرسول صلى الله عليه وسلم بصفة من صفات الله عزّ وجل.

---

[1]- سورة آل عمران، الآية: 110.

[2]- عباس محمود العقاد: عبقرية عمر، ص 46.

وكان عالما بالقرآن شديد التعلق به، ورعا يسأل عن التصرفات ليدرك حكمتها.[1]

ومن الروايات والأحاديث الواردة في علمه:

"أنبأنا أحمد بن عثمان بن أبي يعلي، أنبأنا أبو رشيد عبد الكريم بن أحمد بن منصور بن محمد بن سعيد، حدثنا أبو مسعود سليمان بن إبراهيم بن محمد بن سليمان، حدثنا أبو بكر بن مردويه، حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا عبد العزيز بن أبان، حدثنا أبو الأحوص سلام بن سليم، عن الأعمش، عن أبي وائل قال: قال ابن مسعود: لو أنّ علم عمر وضع في كفة ميزان ووضع علم الناس في ميزان لرجح علم عمر، فذكرته لإبراهيم فقال: قد والله، قال عبد الله أفضل من هذا. قلت: ماذا قال؟ قال: لما مات عمر ذهب تسعة أعشار العلم".[2]

نفهم من خلال قول ابن مسعود رضي الله عنه أن عمر كان غزير العلم، فاقت سعة علمه علم الناس جميعا، وقد استمد هذه الصفة من قوة تعلقه بالقرآن الكريم، الذي بين فيه الله عزّ وجل كل سرائر الكون والوجود والحياة، ومتى استصعب عليه أمر أو غمض عليه ولم يجد له تأويلا في القرآن الكريم، إلا رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهل من علمه وسأله واستفسر منه حتى يدرك كنه الشيء وماهيته، فسعة علم عمر نبعت من شدة تمسكه بالقرآن الكريم وحفظه لأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم واتصاله به طول الوقت.

---

[1]- محمد عبد الله عودة: مختصر التاريخ الإسلامي، ص 18.

[2]- ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص 146.

"وعن عبد الله بن عمر، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (بينما أنا نائم. إذ رأيت قدحا أتيت به، فيه لبن فشربت منه حتى إني لأرى الريّ يجري في أظفاري، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب). قالوا: فماذا أولت ذلك؟ يا رسول الله ! قال: (العلم)".[1]

"أنبأنا أبو محمد بن أبي القاسم الحافظ إجازة أنبأنا أبي، أنبأنا أبو الأغر قراتكين بن الأسعد، حدثنا أبو محمد الجوهري، حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن فضل بن الجراح، حدثنا أبو جعفر أحمد بن عبد الله النيري، حدثنا أبو السائب قال: سمعت شيخا من قريش يذكر عن عبد الملك بن عمير، عن قبيصة بن جابر قال: والله ما رأيت أحدا أرأف برعيته، ولا خيرا من أبي بكر الصديق. ولم أرى أحدا أقرأ لكتاب الله، ولا أفقه في دين الله، ولا أقوم بحدود الله، ولا أهيب في صدور الرجال من عمر بن الخطاب. ولا رأيت أحدا أشدّ حياء من عثمان بن عفان".[2]

نستنتج من هذه الرواية أنّ عمر كان فهيما بأمور الدين، عليما بالأحكام والمعاملات والعبادات، وكان شخصا قويا مرهوب الجانب فعرف بفقهه في الدين كما عرف بشدته وصلابته.

وكان عمر رضي الله عنه شجاعا، تجلت شجاعته في عدة مواقف منها هجرته إلى المدينة إذ لم يخش أحدا، فلم يهاجر متخفيا أو في حماية أحد وإنما هاجر علنا وأمام المشركين، ومن شجاعته أيضا مواجهة للمشركين يوم بدر، فلم يرحم مشركا أو كافرا مهما كانت درجة قرابته

[1]- سامي المغلوث: أطلس الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ص 323.
[2]- ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص 147.

له، إذ وجد نفسه أمام خاله العاص بن هشام وكان كافرا يقتل المسلمين بشدة، فبارزه عمر وقتله دون تردد.[1]

ونحسب من هذا القول أنّ عمر كان شجاعا بعد إسلامه فقط، بل إنّ عمرُ عمر نشأ عليها واستمدها من قوته الجسدية التي امتاز بها عن غيره ،ومن قساوة العيش التي عاشها مع أبيه الخطاب، فلم يكن يعرف التراجع أبدا ومن ذلك أنه لم يرحم المشركين بعد إسلامه في يوم بدر حتى ولو كانوا أولي قربي بل امتثل لأمر الله ورسوله، فأطاع الله وأطاع الرسول صلى الله عليه وسلم.

"ومن صفاته العفة، ومما يشهد بعفته قوله: إني أنزلت نفسي من مال الله منزلة اليتيم، إن استغنيت استعففت وإن افتقرت أكلت بالمعروف فإن أيسرت قضيت، وكان لا تحدثه نفسه أن يأخذ شيئا من بيت مال المسلمين إلا إذا أذنوا له مهما كان الشيء طفيفا لا يستحق الإذن".[2]

"ثم يقرأ قول الله عزّ وجل من سورة النساء:[3]

(... وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِف وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ...)"[4]

ونرى من هذا أنّ عمر رضي الله عنه كان متصفا بمبادئ القرآن الكريم لتعلقه به، وكان يعمل بما أمرنا الله به من أخلاق كالعفة فلا يأخذ

---

[1]- عبد المنعم الهاشمي: موسوعة تاريخ العرب (عصر الرسول وخلفائه)، بيروت: دار ومكتبة هلال، ط1، 2006م، ج2، ص 395.

[2]- محمد رضا: موسوعة الخلفاء الراشدين (أبي بكر الصديق، عمر بن الخطاب، عثمان بن عفان، علي بن أبي طالب رضي الله عنهم)، بيروت: المكتبة العصرية، د.ط، 1427ه/2006م، ص 25.

[3]- طه حسين: الخلفاء الراشدون، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط1، 1973م، م4، ص 114.

[4]- سورة النساء: الآية 6.

من بيت المال إلا عند الضرورة وإذا فعل فلا تكون إلا بإذن المسلمين، وحتى إذا تيسّر المال الكثير الغني فإنه يستعفف فلا يتمتع به ويبذره، فهم أناس أطاعوا الله وعملوا بكلامه، فلم يعملوا بما يعجبهم ويناسبهم فقط بل تجلت فيهم أخلاق القرآن كلها.

وكان رضي الله عنه زاهدا متواضعا، متقشفا رغم ما عرف به من شدة، وكان بسيطا في لباسه، وحدث أنّ الهرمزان قائد الفرس أسر، ولما جاؤوا به إلى المدينة وهو في أبهته إلى عمر بن الخطاب في المسجد، تعجب عندما علم أنّ ذلك الرجل هو الخليفة. وقيل أنّ قيصرا أرسل رسولا لعمر، فلما دخل المدينة، سأل الناس عن ملكهم، فقالوا ما لنا ملك، بل لنا أمير، قد خرج إلى ظاهر المدينة، فجد في طلبه، فوجده نائما على الأرض في الشمس، وقد تصبب العرق من جبينه حتى بلّ الأرض، فدهش رسول قيصر.[1]

ومن هذا القول نلمس مدى بساطة عمر رضي الله عنه، بحيث ألزم نفسه وعوّدها على بساطة العيش، ومنعها عن زخرف الدنيا ومتاعها، فلم تكن الخلافة عنده وعند بقية الخلفاء الراشدين مركزا وجاها وملكا وفخامة في اللباس وطيبا في الأكل، بل كان الخليفة عمر يرى نفسه كسائر الرعية، وهذا ما فوجئ به الهرمزان قائد الفرس ورسول قيصر، إذ لم يستطيعوا تمييز الخليفة عن غيره من رعاياه، وهذه أحد المبادئ التي قام عليها حكم الخلفاء الراشدين.

ومن الروايات الواردة في زهده وتواضعه رضي الله عنه:

[1]- محمد عبد الله عودة: مختصر التاريخ الإسلامي، ص 18.

"قال طلحة بن عبيد الله: ما كان عمر بن الخطاب بأوّلنا إسلاما ولا أقدمنا هجرة، ولكنه كان أزهدنا في الدنيا، وأرغبنا في الآخرة".[1]

"عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال: قالت حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها لعمر: يا أمير المؤمنين، لو لبست ثوبا هو ألين من ثوبك هذا، وأكلت طعاما هو ألين وأطيب من طعامك فقد وسع الله من الرزق، وأكثر من الخير. فقال: إني سأخاصمك إلى نفسك، أما تذكرين ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى من العيش؟ فما زال يذكرها حتى أبكاها، فقال لها: أما والله لئن ذاك لمكاني، والله إن استطعت، لأشار كنهما في مثل عيشهما الشديد، لعلي أدركت معهما عيشهما الرخي".[2]

"عن أبي سلمة قال: قال سعد بن أبي وقاص: والله ما كان عمر بأقدمنا هجرة، وقد عرفت بأيّ شيء فضلنا، كان أزهدنا في الدنيا".[3]

يتضح من حديث طلحة وسعد بن أبي وقاص أنّ عمر كان أزهد الناس، وكانت أكبر صفة تميز بها عن باقي الصحابة رضوان الله عليهم، فكان يزدري الدنيا بطيب أكلها وفخامة الثياب فيها، فكان يحتذي بالرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبي بكر ابتغاء مرضاة الله وحسن الثواب من عنده.

"عن أبي مليكة قال: بينما عمر قد وضع بين يديه طعاما إذ جاء الغلام فقال: هذا عتبة بن فرقد بالباب، قال: وما أقدم عتبة؟ ائذن له، فلما دخل رأى بين يدي عمر طعامه: خبز وزيت، قال: اقترب يا عتبة فأصب من

[1]- ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص 147.
[2]- سامي المغلوث: أطلس الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ص 336.
[3]- ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص 147.

هذا. قال: فذهب يأكل فإذا هو طعام جشب لا يستطيع أن يسيغه. قال: يا أمير المؤمنين، هل لك في طعام يقال له: الحوّاري؟ قال: ويلك، ويسع ذلك المؤمنين كلهم؟ قال: لا والله، قال: ويلك يا عتبة، فأردت أن آكل طيّبا في حياتي الدنيا وأستمتع؟.

"وقال محمد بن سعد: أنبأنا الوليد بن الأغر المكي، حدثنا عبد الحميد بن سليمان، عن أبي حازم قال: دخل عمر بن الخطاب على حفصة ابنته فقدمت إليه مرقا باردا وخبزا وصبّت في المرق زيتا، فقال: أُدمان في إناء واحد! لا أذوقه حتى ألقى الله عز وجل".[1]

كان عمر رضي الله عنه يمنع نفسه وأهله من طيب الطعام ليس في بيته فقط، ولكن حتى إذا عرض عليه أكل أو إذا ذهب في زيارة.

"وقال معاوية رضي الله عنه: أما أبو بكر فلم يرد الدنيا ولم ترده، وأما عمر فأرادته الدنيا ولم يردها، وأما نحن فتمرّغنا فيها ظهرا لبطن، أخرجه الزبير بن بكار في (الموفقيات)".[2]

والمراد من قول معاوية رضي الله عنه أنّ الدنيا أقبلت على عمر رضي الله عنه بخيراتها وملكها باتساع الفتوحات الإسلامية في عهده، فكثرت الغنائم والفيء وامتلأت خزينة بيت المال، ولكن عمر لم يقبل على هذا كله بل كان زاهدا راغبا في الآخرة، فلم تغيّر سعة الفتح من بساطة عيشه وازدرائه للدنيا، واعتبر أنّ هذا المال حق للمسلمين وأمانة لهم سيحاسب عليها ويسأل عنها.

---

[1]- المصدر السابق، ص 148-149.
الجشب: الخشن الغليظ من الطعام، وقيل غير المأدوم وكل بشع الطعام فهو جشب.
[2]- السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 96.

"عن ثابت عن أنس قال: لقد رأيت بين كتفي عمر أربع رقاع في قميصه.

"عن سعيد الجريري، عن أبي عثمان قال: رأيت عمر بن الخطاب يرمي الجمرة وعليه إزار مرقوع بقطعة جراب".[1]

ونرى من هذه الرواية أنّ شدّة الزهد عند عمر قد بلغت به أنه لبس الثياب المرقوعة.

ب.<u>الأحاديث الواردة في فضله رضي الله عنه:</u>

"عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله عليه وسلم يقول: (بينما أنا نائم رأيت الناس عرضوا عليّ وعليهم قمص، فمنها ما يبلغ الثدي، ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعرض عليّ عمر وعليه قميص اجترّه. قالوا: فما أوّلته يا رسول الله! قال: الدين)".[2]

ومعنى هذا الحديث أنّ عمر كان قوي الإيمان، شديد التمسك بدينه، أقوم بحدود الله، يتوخى مرضاة الله قبل مرضاة الناس، ويخشى الله في صون دينه.

"وأخرج الشيخان عن سعد بن أبي وقاص: قال النبي عليه الصلاة والسلام: (يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجّا قطّ إلا سلك فجّا غير فجّك)".[3]

---

[1]- ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص 149.
[2]- سامي المغلوث: أطلس الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ص 334.
[3]- السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 93.

يدلنا هذا القول على أنّ الشيطان لم يكن له سبيل إلى عمر رضي الله عنه، لصفاء نفسه ونقاء سريرته، فما سلك عمر طريقا إلا سلك الشيطان طريقا غيره وربما لهيبة شخصيته وصلابته.

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنّ أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما يرى الكوكب الدّري في الأفق من آفاق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما)".[1]

يعتبر قول الرسول صلى الله عليه وسلم بشرى لعمر وأبي بكر رضي الله عنهما بأعلى الدرجات في الجنة، وأنهما سيكونان كالكوكب المضيء في السماء.

"عن أبي موسى قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في حائط من حيطان المدينة، فجاء رجل فاستفتح، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (افتح له وبشره بالجنة)، ففتحت له، فإذا هو أبو بكر، فبشرته بما قال النبي صلى الله عليه وسلم، فحمد الله، ثم جاء رجل فاستفتح، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (افتح له وبشره بالجنة)، ففتحت له فإذا هو عمر فأخبرته بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحمد الله، ثم استفتح رجل، فقال لي: (افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه)، فإذا عثمان، فأخبرته بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحمد الله، ثم قال: (الله المستعان)".[2]

"عن أبي مليكة أنه سمع ابن عباس يقول: وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع- وأنا فيهم- فلم يرعني إلا

[1]- ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص 150.
[2]- سامي المغلوث: أطلس الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ص 334.

رجل أخذ منكبي، فإذا علي بن أبي طالب، فترحم على عمر وقال: ما خلفت أحدا أحب إليّ أن ألقى الله بمثل عمله منك. وأيم الله! إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وحسبت كثيرا أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

(ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر)".[1]

ونفهم من قول ابن عباس أنّ عمر كان قدوة لغيره لما عرف من صالح أعماله وخشية الله وتقواه، حتى أن عليا رضي الله عنه رغب في أن يلقى الله بمثل عمل عمر عن غيره من المسلمين.

"عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وزيراي من أهل السماء جبريل وميكائيل، و وزيراي من أهل الأرض أبو بكر وعمر).

وعن علي بن أبي طالب قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فأقبل أبو بكر وعمر فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم: (يا علي، هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين، إلا النبيين والمرسلين، ثم قال: يا علي، لا تخبرهما)".[2]

نستنتج من حديث ابن عباس وعلي بن أبي طالب أنّ لأبي بكر وعمر مكانة عظيمة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنهما سيتبوآن درجة

[1]- عاطف عبد الوهاب حماد: شجرة نسب الخلفاء الراشدين والأحاديث الصحيحة في مناقبهم رضي الله عنهم، ص 17.
[2]- ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص 150.

عالية في الجنة بأن يكونا سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين.

"عن عبد الله بن عمر رفعه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألبس جديدا وعش حميدا، ومت شهيدا، ويرزقك الله قرة عين في الدنيا والآخرة)، قاله لعمر بن الخطاب".[1]

معنى اللبس الجديد هو بشرى لعمر باتساع الفتوحات في عهده وتدفق الملك والخيرات، والعيش الحميد هو بساطة العيش مرضاة لله عزّ وجل، أما قوله (مت شهيدا) فهي بشرى له بالاستشهاد في سبيل الله، وقوله (قرة عين في الدنيا والآخرة) فهي حسن الجزاء والثواب في الأولى والآخرة.

"وأخرج الطبراني عن أبي بن كعب، قال: قال النبي عليه الصلاة والسلام: (قال لي جبريل: ليبك الإسلام على موت عمر). وأخرج الطبراني في "الأوسط" عن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي عليه الصلاة والسلام: (من أبغض عمر فقد أبغضني ومن أحب عمر فقد أحبني، وإنّ الله باهى بالناس عشية عرفة عامة وباهى بعمر خاصة، وإنه لم يبعث الله نبيا إلا كان في أمته محدّث، وإن يكن في أمتي منهم فهو عمر، قالوا: يا رسول الله كيف محدث؟ قال: تتكلم الملائكة على لسانه)، إسناده حسن".[2]

والملاحظ من هذا القول أنّ عمر كان عزة للإسلام وإعلاء له، جسد روح الإسلام وتعاليمه ومبادئه في حكمه وصفاته، فكان موته خسارة للإسلام وللحضارة الإسلامية، ونلمس من قول النبي صلى الله عليه وسلم

[1]- عاطف عبد الوهاب حماد: شجرة نسب الخلفاء الراشدين والأحاديث الصحيحة في مناقبهم رضي الله عنهم، ص 18.
[2]- السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 95.

أنّ محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر قد بلغت درجة قوية، إذ ربط محبة المسلمين له بقدر محبتهم لعمر ومن كره عمر فكأنما كره الرسول صلى الله عليه وسلم.

"وأخرج الترمذي والحاكم وصححه عن عقبة بن عامر قال: قال النبي عليه الصلاة والسلام: (لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب).[1]

"عن جابر بن عبد الله قال: قال عمر لأبي بكر: يا خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أبو بكر: أما إنك إن قلت ذلك، فلقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر)".[2]

نفهم من قول الرسول صلى الله عليه وسلم أنّ عمر كان متصفا بصفات الأنبياء وخلقهم وأنّ منزلته عند الله كانت كمنزلة الأنبياء، حتى وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: (لو كان بعدي نبي لاختار الله عمر رضي الله عنه).

"وأخرج الترمذي عن عمر أنّ النبي عليه الصلاة قال: (إنّ الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه)".[3]

"وأخرج ابن ماجة والحاكم عن أبي بن كعب قال: قال النبي عليه الصلاة والسلام: (أول من يصافحه الحق عمر، وأول من يسلم عليه، وأول من يأخذ بيده فيدخل الجنة)".[4]

---

[1]- المصدر السابق، ص 93

[2]- ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص 151.

[3]- السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 93.

[4]- المصدر نفسه، ص 94.

"عن أيوب بن موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنّ الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه، وهو الفاروق: فرق الله به بين الحق والباطل)".[1]

صدق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قام الحكم عند عمر رضي الله عنه على الحق والعدل والقسط بين الناس والمساواة، فأقام الله به الحق وأزهق الباطل، حتى ارتبط اسمه رضي الله عنه بهذه الصفة، فسمي عمر "الحق" إذ كان يرى نفسه ظالما إذا لم يغير المظلمة بلسانه أو بيده.

[1]- ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص 143.

الفصل الثاني
خلافة عمر ابن الخطاب
ونظام حكمه

الفصل الثاني: خلافة عمر بن الخطاب ونظام حكمه.

1. بيعته.
2. خلافته.
3. نظام الحكم.
4. عدالته.

1- بيعتـــــــه:

لما استكمل سيدنا أبو بكر رضي الله عنه أجله الذي قدره الله له، وثبت الناس على دينهم بعد أن كادوا يتفرقون إثر وفاة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام فقام مقاما لا يقومه أحد غيره، وبهذا أدّى ما عليه وحفظ الأمانة بعد رسول الله وفتح الله على يده ما شاء أن يفتح، دعا رضي الله عنه بعض الصحابة ليختاروا عليهم خليفة بعده.

"فجمع الناس إليه وقال: إنه قد نزل بي ما قد ترون ولا أظنني إلا ميتا لما بي، وقد أطلق الله أيمانكم من يبقي، وحل عنكم عقدتي، ورد عليكم أمركم، فأمّروا عليكم من أحببتم، فإنكم إن أمرتم في حياتي كان أجدر ألا تختلفوا بعدي".[1]

فعندما أيقن أبو بكر رضي الله عنه بدنو رحيله من الدنيا جمع عليه الصحابة وأمرهم بأن يؤمرّوا عليهم من يرضونه ويقبلوه عليهم، فأراد أن تكون قبل خروج روحه إلى بارئها حتى يطمئن لأمر المسلمين بعد موته، ويهدأ باله بألا يختلفوا في هذا الأمر بعده.

فقد خشي أبو بكر رضي الله عنه أن يتجدد الخلاف بين المسلمين، إن توفي ولم يعهد بالخلافة إلى أحد، كما حدث في سقيفة بني ساعدة، فخشي أن يكون خلافهم هذه المرة أشدّ خطرا وقد يؤدي إلى الفتنة، أما إذا استخلف وجمع كلمة المسلمين على من يستخلفه، فقد يتقي ما يخشى، ويكفل لسياسة الفتوح الاستمرارية والنجاح.[2]

---

[1]- علي محمد الصلابي: فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب، ص 90.
[2]- محمد سهيل طقوش: تاريخ الخلفاء الراشدين، ص 178.

ولعلنا نلمس في هذا حكمة أبي بكر ونظرته الثاقبة فكيف لا وهو ثاني اثنين في الغار، فأراد أن يجنب المسلمين فتنة ربما تكون سببا في تفريق كلمتهم وتبديد قوتهم، ورأى ببعد نظره أن يحتاط لهذا الأمر تلافيا للأخطار فعمد إلى تعيين خليفة بعده يقودهم ويجمع شملهم، فيكون ذلك أمام عينيه وبمشورته ومشورة المسلمين وبالرضى لا الخلاف لمواصلة الفتوحات وإعلاء كلمةالحق والدين.

"وبعد تشاور الصحابة رضي الله عنهم، كان كل واحد منهم يحاول أن يدفع الأمر عن نفسه ويطلبه لأخيه إذ يرى فيه الصلاح والأهلية، لذا رجعوا إليه، فقالوا: رأينا يا خليفة رسول الله رأيك، قال: فأمهلوني حتى أنظر لله ولدينه ولعباده".[1]

نرى من تشاور الصحابة رضي الله عنهم أنّ كل واحد منهم كان يزكي أخاه ويبعد هذه المسؤولية عن نفسه، لما يراه في أخيه من صدق وتقوى وأهلية لها، مصداقا لقوله تعالى:

﴿ ... **فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى** ﴾[2]، فكان كلّ واحد منهم ينظر لنفسه بعين النقص ويرى في أخيه الأخلاق والصفات المطلوبة، كما أنّ الصحابة كانوا يعلمون مدى خطورة وصعوبة هذه المسؤولية فكانوا يخافون ويخشون أن يتقلدوها مخافة الحساب أمام الله عزّ وجلّ، فمحاسبة الفرد لا كالجماعة والقوم، ثم إنهم لما كان كلّ واحد منهم يدفعها

[1]- علي محمد الصلابي: فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب، ص 90.
[2]- سورة النجم، الآية: 32.

إلى الآخر همّوا إلى أبي بكر رضي الله عنه وجعلوا رأيهم من رأيه واختيارهم من اختياره لما رأوه من حرصه على المسلمين.

ولما أوكلوه رضي الله عنه مهمة اختيار الخليفة بعده، قام باستدعاء بعض الصحابة، فجعل يسألهم عن عمر رضي الله عنه.

"فأرسل أبو بكر إلى عبد الرحمن بن عوف وقال: أخبرني عن عمر، فقال: يا خليفة رسول الله هو والله أفضل من رأيك فيه، ولكن فيه غلظة، فقال أبو بكر: ذلك لأنه يراني رقيقا، ولو أفضي الأمر إليه لترك كثيرا ممّا هو عليه، يا أبا محمد قد رمقته فرأيتني إذا غضبت على رجل في شيء أراني الرضا عنه وإذا لنت له أراني الشدة عليه، ثم التفت إلى عبد الرحمن- رضي الله عنه- وقال: لا تذكر يا أبا محمد ممّا قلت لك شيئا، قال عبد الرحمن: نعم. ودعا الخليفة عثمان بن عفان – رضي الله عنه- وقال له: أخبرني يا أبا عبد الله عن عمر بن الخطاب وأجاب عثمان بن عفان- رضي الله عنه- وقال له: أخبرني يا أبا عبد الله عن عمر بن الخطاب وأجاب عثمان: يا خليفة رسول الله، أنت أخبر به، فقال أبو بكر: على ذلك يا أبا عبد الله، قال عثمان: اللهم علمي به أنّ سريرته خير من علانيته، وأنّ ليس فينا مثله".[1]

"ثم دعا أسيد بن حضير فقال له: مثل ذلك، فقال أسيد: اللهم أعلمه الخيرة بعدك يرضى للرضا، ويسخط للسخط، والذي يسر خير من الذي يعلن، ولن يلي هذا الأمر أحد أقوى عليه منه، وكذلك استشار سعيد بن زيد وعددا من الأنصار والمهاجرين، وكلهم تقريبا كانوا برأي واحد في

[1]- محمد السيد الوكيل: جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين (دراسة وصفية- تحليلية لأحداث تلك الفترة)، جدة: دار المجتمع للنشر والتوزيع، ط5، 1423هـ / 2002م، ص 81.

عمر إلا طلحة بن عبيد الله خاف من شدته، فقال لأبي بكر: ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا وقد ترى غلظته؟ فقال أبو بكر: أجلسوني أبا لله تخوفونني؟ خاب من تزود من أمركم بظلم، أقول اللهم استخلفت عليهم خير أهلك".[1]

نلاحظ أنّ أبا بكر رضي الله عنه شاور كبار الصحابة وجماعة من الأنصار والمهاجرين، فكان يطبق رضي الله عنه مبدأ الشورى لقوله عزّ وجل: ﴿... **وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ**...﴾[2]، فلما تيقن أنّ جلّ الآراء كانت موحدة وفي صف واحد إلا طلحة بن عبيد الله فإنه خاف من غلظة وشدّة عمر بأن تكون على المسلمين، وخوفه بالله من قراره، فكان ردّه أنه سيقول لربّه بأنه قد ولى عليهم خير عباده.

ثم جاء عثمان بن عفان وقال له: « أكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد به أبو بكر في آخر عهده بالدنيا خارجا منها وعند أول عهده بالآخرة داخلا فيها حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب، إني استخلفت بعدي عمر ابن الخطاب فاسمعوا وأطيعوا، فإني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيرا، فإن عدل فذاك الظن به وعلمي فيه، وإن بدّل فلكل امرئ ما اكتسب، والخير أردت ولا علم لي بالغيب، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».[3]

---

[1]- علي محمد الصلابي: فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب، ص 91.
[2]- سورة الشورى، الآية: 38.
[3]- مجموعة من المؤلفين: موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية (تاريخ وحضارة صدر الإسلام)، القاهرة: دار الفكر العربي، د.ط، 2008م، م1، ص 22.

وبهذا العهد يكون أبو بكر قد ألزم عمر بضرورة قبول هذه المسؤولية وأمر المسلمين بالسمع والطاعة له، وعليه يكون قد ولى خير الرجال لإعلاء دين الله والقيام بأعباء الدولة الإسلامية، فإن كان أصاب فذاك ظن أبي بكر فيه، وإن كان غير ذلك فإنّ الغيب لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى.

ثم دخل عمر رضي الله عنه على أبي بكر فعرفه بما عزم، فأبى أن يقبل فتهدده أبو بكر بالسيف، فما كان أمام عمر إلا أن يقبل، وكلف أبو بكر عثمان رضي الله عنه بأن يتولى قراءة العهد على الناس وأخذ البيعة لعمر قبل موت أبي بكر وبعد قراءته العهد على الناس ورضوا به أقبلوا عليه وبايعوه.[1]

وعلى هذا لم يكن أمام عمر إلا أن يقبل بأمر أبي بكر ويمتثل له، فرضي عمر ورضي الناس بعهد أبي بكر وبايعوا عمر، فكانت هذه بداية معاناة عمر مع هذه المسؤولية العظيمة.

"واختلى الصديق بالفاروق وأوصاه بمجموعة من التوصيات لإخلاء ذمته من أيّ شيء، حتى يمضي إلى ربه خاليا من أيّ تبعة بعد أن بذل قصارى جهده واجتهاده، وقد جاء في الوصية: « اتق الله يا عمر، واعلم أنّ لله عملا بالنهار لا يقبله بالليل، وعملا بالليل لا يقبله بالنهار، وأنه لا يقبل نافلة حتى تؤدي فريضة، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة بإتباعهم الحق غدا أن يكون ثقيلا، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة بإتباعهم الباطل غدا أن يكون خفيفا، وأنّ الله تعالى

[1]- علي محمد الصلابي: فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب، ص 92.

ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئه، فإذا ذكرتهم قلت: إني أخاف ألا ألحق بهم، فإذا ذكرتهم قلت: إني لأرجو ألا أكون مع هؤلاء، ليكون العبد راغبا راهبا، لا يتمنى على الله ولا يقنط من رحمة الله فإن أنت حفظت وصيتي فلا يك غائب أبغض إليك من الموت ولست تعجزه ».[1]

كانت هذه وصية صاحب يحب صاحبه ويخاف عليه مثلما خاف على المسلمين من الفتنة، فأراد أن يترك له أعزّ ما يملك من نفائس الوصايا كما رأيناها في النص: فأمره بتقوى الله وهي مفتاح الأمور كلها، وأداء الفرائض أوّلا ثم النوافل كما أمره بإتباع الحق لا الباطل فإن صاحبه يأتي إمّا ثقيل الميزان يوم القيامة أو عكس ذلك إن هو اتبع الباطل، ثم ذكره بأصحاب الجنة وأنهم ليسوا معصومين بل يصيبون ويخطئون، وأنه من رحمة الله تجاوزه عن عباده الصالحين، وأمره أيضا بأن يرغب في الله في أموره كلها ويتفاءل فلا يقنط من رحمته لذلك يقول عزّ وجل: ﴿ **قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ** ﴾[2]، وذكره بالموت قبل الحياة، وبهذا يكون الصديق قد أخلى ذمته من أيّ شيء، حتى يمضي إلى ربه خاليا من أيّ تبعة بعد أن بذل قصارى جهده في صون وحدة الدولة الإسلامية.

[1]- المرجع السابق، ص 92-93.
[2]- سورة الحجر، الآية: 56.

ولما فرغ أبو بكر من وصيته خرج عمر من عنده وهو يفكر في هذا الأمر الذي ألقي على عاتقه، فودّ لو أبا بكر برئ من مرضه ليواجه موقفا دقيقا.[1]

راح عمر رضي الله عنه يفكر في هذه الأمانة التي أودعها له أبو بكر وكلفه بها ومدى ثقلها حتى تغيّر وجهه، وهذا إن دلّ فإنما يدل على تقوى وخوف هؤلاء الرجال من المسؤولية وخاصة إن كانت قيادة المسلمين جميعا باختلاف أشكالهم وألوانهم ومناطق تواجدهم، فكان ينظر إلى الخلافة على أنها ابتلاء سيحاسب على أداء حقه وليست جاها وشرفا وملكا.

وقد وجد المسلمون صعوبة في مناداة عمر رضي الله عنه بخليفة رسول الله بعد توليه الخلافة، فاستثقله بعض المسلمين واقترح الصحابة فيما بينهم لقب "الأمير"، فقالوا نحن المؤمنون وعمر أميرنا فكان له السبق في هذا اللقب.

وعن محمد بن سعد قال: قالوا لما مات أبو بكر، رضوان الله عليه وكان يدعى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لعمر: خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال المسلمون: من جاء بعد عمر قيل له خَليفة خلِيفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيطول هذا ولكن اجتمعوا على اسم تدعون به الخليفة يدعى من الخلفاء، قال بعض

[1]- محمد سهيل طقوش: تاريخ الخلفاء الراشدين، ص 179.

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: نحن المؤمنون وعمر أميرنا، فدعي عمر «أمير المؤمنين»، فهو أول من سمي بذلك.[1]

[1]- سامي المغلوث: أطلس الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ص 336.

2- خلافتـــــــه:

بعد بيعة عمر رضي الله عنه بدأ عهد خلافته وتولى أمر المسلمين وشؤونهم على الرّغم من تهربه من هذه المسؤولية الكبيرة، فكانت خلافته رحمة كما وصفها ابن مسعود رضي الله عنه، سادها العدل والرحمة والرخاء المادي وحسن التسيير والتنظيم، وحقق خلالها المسلمون فتحا عظيما وصل به الإسلام إلى بلاد فارس والعراق ومصر وطرابلس، فصدق ظن أبو بكر رضي الله عنه ورجاؤه فيه.

وقد ولي عمر الخلافة بعهد من أبي بكر في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة، قال الزهري: استخلف عمر يوم توفي أبو بكر، وهو يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادي الآخرة.[1]

وعقب بيعته أعلن عمر رضي الله عنه في أول خطاب له، بعد توليه الخلافة، أنه سيقتدي في سياسته للأمة برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالشيخ أبي بكر، وأنه سيعمل على تدعيم قوة أمة الإسلام، وأنه سيجعل الشورى والعدالة أساس الحكم في دولته، وأنه سيواصل تبليغ رسالة الإسلام للناس كافة متبعا في ذلك سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وخليفته رضي الله عنه بمواصلة الفتوح ومحاربة الوثنية والشرك بالله في كل مكان.[2]

اختلف الرواة في أول خطبة خطبها الفاروق عمر، فقال بعضهم إنه صعد المنبر فقال:

---

[1]- السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 103.

[2]- مجموعة من المؤلفين: موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية، ص 26-27.

«اللهم إني شديد فليني، وإني ضعيف فقوني، وإني بخيل فسخني»[1]، يتضح من هذه الرواية أول شيء كان يخافه عمر ويقلق منه على رعيته هو غلظته، لذا دعا الله عزّ وجل أن يلينها ويضعفها على الرغم من أننا رأينا بأنّ هذه الغلظة والصلابة لم تصدر منه إلا في نصرة حق أو ضعيف أو جدّ ظالم، وكذلك على الرغم من القوة التي عرف بها جسديا ومعنويا فإنه طلب من الله أن يرزقه القوة ليكون قادرا على حمل عبء الدولة الإسلامية، ودعا أن يكون سخي اليد ينفق في حاجة رعيته.

وروي إنّ أول خطبة كانت قوله: « إنّ الله ابتلاكم بي وابتلاني بكم بعد صاحبي، فو الله لا يحضرني شيء من أمركم فيليه أحد دوني، ولا يتغيب عني فآلوا فيه عن أهل الجزء- يعني الكفاية- والأمانة، والله لئن أحسنوا لأحسننّ إليهم، ولئن أساؤوا لأنكلنّ بهم، فقال من شهد خطبته ورواها عنه: فو الله ما زاد على ذلك حتى فارق الدنيا».[2]

نرى أنّ عمر رضي الله عنه كان يرى الخلافة بلاء ابتلي به وامتحانا عليه اجتيازه، وليست في نظره مركزا وجاها وملكا وعظمة، كما نراها عند كثير من الحكام، وعاهد المسلمين بأن يتولى أمورهم بنفسه في المدينة، وأن يولي عليهم من يكون أهلا وكفء لإمارتهم في الأمصار الأخرى، ونرى مدى حرصه في محاسبة هؤلاء الولاة إذ أكد في قوله بأنه سيجازي من يحسن عمله ومن أساء فسيلقى الشدة والحزم، وبهذا نقول بأنّ عمر قال وفعل وعاهد فأوفي.

[1]- حمدي شاهين: الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، ص 119.
[2]- المرجع نفسه.

"وروي أنه لما ولي الخلافة صعد المنبر وهمّ أن يجلس مكان أبي بكر فقال: ما كان الله ليراني أرى نفسي أهلا لمجلس أبي بكر فنزل مرقاة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: اقرءوا القرآن تعرّفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا وتزيّنوا للعرض الأكبر يوم تعرضون على الله لا تخفى منكم خافية، إنه لم يبلغ حق ذي حق أن يطاع في معصية الله، ألا وإني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة ولي اليتيم: إن استغنيت عففت وإن افتقرت أكلت بالمعروف".[1]

لم يكن عمر يرى نفسه في نفس مقام أبي بكر رضي الله عنه فكان يعتبره أرفع درجة منه، فلم يستطع الجلوس في مكانه عند صعوده للمنبر بل أبى إلا أن ينزل درجة عن مجلسه، ومضمون هذه الرواية أنّ أول خطبة لعمر كانت عبارة عن خطبة دينية تحمل وصايا مختلفة فيها وعظ وإرشاد وتوجيه، لأنّ الحكم عند الفاروق كان يقوم على أساس الشريعة الإسلامية فلم يفصل الخليفة عمر في أول خطبة له بين الدين وأمور الدنيا ليقينه بأنّ الحكم لا يصلح إلا بالدين والمنهاج الشرعي، أمّا إن حاد عنه فقد فسد.

"وروي أنّ أول ما خاف منه الناس هو شدته رضي الله عنه، فعلم عمر أنّ عليه إبعاد هذه النظرة بنفسه، فخطب فيهم بقوله إنّ تلك الشدة قد خفت، ولكنها ستصدر على كلّ ظالم ومتعدي، أمّا رحمته فستكون على أهل الصلاح والخير، وعاهدهم بأن لا يجتبي من مال المسلمين إلا ما يكون في سبيل الله عزّ وجل من صدقة وزكاة للفقراء والمساكين، وعاهد

[1]- علي محمد الصلابي: فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب، ص 102.

بزيادة العطاء، وتكثيف القوة الدفاعية، وعاهد الولاة بأن لا تطول مدة غيابهم عن ذويهم، وأنه سيكون الأب الراعي والكفيل بأولادهم، وأوصى رعيته بأن ينصحوا له عملا بقوله تعالى:

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ...﴾[1]، وكان نص قوله هذا ما يلي:

« إني قد وليت أموركم أيها الناس فاعلموا أنّ تلك الشدة قد أضعفت، ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدي، ولست أدع أحدا يظلم أحدا أو يتعدى عليه حتى أضع خدّه على الأرض، وأضع قدمي على الخد الآخر حتى يذعن للحق، وإني بعد شدتي تلك أضع خدي لأهل العفاف وأهل الكفاف، ولكم عليّ أيها الناس خصال أذكرها لكم فخذوني بها، لكم عليّ أن لا أجتبي شيئا من خراجكم، ولا ممّا أفاء الله عليكم إلا في وجهه، ولكم عليّ إذا وقع في يدي ألا يخرج مني إلا في حقه، ولكم عليّ أن أزيد عطاياكم وأرزاقكم إن شاء الله تعالى وأسدّ ثغوركم، ولكم عليّ ألا ألقيكم في المهالك ولا أجمّركم في ثغوركم (أي لا أبقيكم على جبهات القتال بعيدا عن أهاليكم مدة طويلة لا تحتملونها)، وإذا غبتم في البعوث فأنا أبو العيال حتى ترجعوا إليهم، فاتقوا الله عباد الله، وأعينوني على أنفسكم بكفها عني، وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحضاري النصيحة فيما ولاني الله من أمركم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم».[2]

---

[1]- سورة آل عمران، الآية: 110.

[2]- حمدي شاهين: الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، ص 120- 121.

وقيل إنّ أوّل خطبة له هي قوله: "إنما مثل العرب مثل جمل أنف اتبع قائده، فلينظر قائده حيث يقوده، أما أنا فو رب الكعبة لأحملنكم على الطريق".[1]

أراد عمر بقوله هذا إنّ العرب لا يتبعون الطريق الذي أمرهم الله به وأرشدهم إليه، بل يتبعون قائدهم فإن أفلح أفلحوا وإن هلك هلكوا، فيقتدون به ويعملون بأمره وكلامه حتى وإن قادهم إلى المهلكة، أما عمر فأقسم في قوله هذا بأنه سيقودهم وسيجعلهم على الصراط السوي حتى وإن أبوا أو خالفوه، ونلمس من قوله « أما أنا فورب الكعبة لأحملنهم على الطريق»، قوة شخصيته وشجاعته، فلا يخاف إلا من الله عزّ وجلّ، وأنه إنما تولى أمر المسلمين ليكون قائدهم إلى طريق الله المستقيم ومقومهم بعد كل إعوجاج، كما نلمس أيضا شدة توكله وتقواه إذ عرف أنه سيقومهم بمعونة الله عزّ وجلّ، ولن يجرؤ أحد على مخالفته وعصيان أمره.

"وقد علق الشيخ عبد الوهاب النجار على هذا القول بقوله: الجمل الأنف: هو الجمل الذلول المواتي الذي يأنف من الزجر والضرب ويعطي ما عنده من السير عفوا سهلا، وهذا تشخيص حسن للأمة الإسلامية في عهده، فإنها كانت سامعة مطواعة إذا أمرت ائتمرت، وإذا نهيت انتهت، ويتبع ذلك المسؤولية الكبرى على قائدها، فإنه يجب عليه أن يرتاد لها ويصدر في شأنه بعقل، و يورد بتمييز حتى لا يورطها في خطر، ولا

[1]- الشيخ محمد الخضري بك: إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء، مصر: المكتبة التجارية الكبرى، د.ط، د.ت، ص 55.

يقحمها في مهلكة، ولا يهمل شأنها إهمالا يكون من ورائه البطر. وقد أراد بالطريق: الطريق الأقوم الذي لا عوج فيه، وقد برّ بما أقسم به".[1]

ويتضح من هذه الروايات لخطبة عمر لما ولي الخلافة منهجه في الحكم الذي لم يحدّ عنه، وأبرز ملامحه:

أولا: إنه ينظر إلى الخلافة على أنها ابتلاء ابتلى به سيحاسب عن أداء حقه.

ثانيا: هذا الاستخلاف يتطلب منه أن يباشر حمل أعباء الدولة، وأن يولي على الرعية أفضل الأمراء، ويرى عمر أنّ ذلك ليس كافيا لإبراء ذمته أمام الله تعالى، بل يرى أنّ مراقبة هؤلاء العمال والولاة فرض لا فكاك منه.[2]

ثالثا: إنّ شدة عمر التي هابها الناس سيخلطها لهم لينا ورحمة، وسينصب لهم ميزان العدل، فمن ظلم وتعدى لن يجد إلا التنكيل والهوان. « ولست أدع أحدا يظلم أحدا ويتعدى عليه حتى أضع خده على الأرض»، أما من آثر القصد والدين والعفاف سيجد من الرحمة ما لا مزيد عليه، « ثم أضع خدّي لأهل العفاف».[3]

رابعا: تكفل الخليفة بالدفاع عن الأمة ودينها وأن يسدّ الثغور ويدفع الخطر، غير أنّ ذلك لن يتمّ بظلم المقاتلين، ولقد قام الفاروق بتطوير المؤسسة العسكرية وأصبحت قوة ضاربة لا مثيل لها على مستوى العالم في عصره.

---

[1]- علي محمد الصلابي: فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب، ص 104.
[2]- حمدي شاهين: الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، ص 121.
[3]- علي محمد الصلابي: فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب، ص 103.

خامسا: تعهد الخليفة بأداء الحقوق المالية كاملة من خراج وفيء، وسيزيد عطاياهم وأرزاقهم باستمرار الجهاد والغزو، والحضّ على العمل وضبط الأداء المالي للدولة، وقد قام بتطوير المؤسسة المالية، وضبط مصادر بيت المال وأوجه الإنفاق في الدولة.

سادسا: وفي مقابل ذلك يطالب الرعية بأداء واجبها من النصح لخليفتها والسمع والطاعة، ونبّه إلى أنه لا يعين على ذلك إلا بتقوى الله ومحاسبة النفس واستشعار المسؤولية في الآخرة.[1]

وقد تمكن عمر من تحقيق ما وعد به فكان الخليفة الصادق والحق والفارق بين الحق والباطل لمدة عشر سنوات، فكانت خلافته قدوة في الحكم للحاكم المسلم، أساسها الالتزام بمبادئ التشريع الإسلامي في تسيير دولة الإسلام.

[1]- المرجع السابق، ص 104.

3- نظـــام الحكـــــم:

إنّ أيّ دولة لما تبلغ من المكانة ما تبلغ من الاستقرار والأمن والتنظيم والتطور الاجتماعي والاقتصادي فذلك راجع إلى استقرار نظام الحكم فيها ورجاحة النظام السياسي لدى هذه الدولة، ومن هنا كان نظام الحكم في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أحد أهمّ العوامل التي بلغت بها الحضارة الإسلامية أوجها في عهده، فكان الأساس الذي يقوم عليه النظام السياسي في عهده هو الأساس الذي قامت عليه الدولة الإسلامية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وهو الشورى، استنادا إلى قوله تعالى: ﴿... **وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ**...﴾[1]، وإلى قوله تعالى مخاطبا نبيه: ﴿... **وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ** ...﴾[2].

"وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه، وفي مقدمتهم أبو بكر وعمر، وكان يقول لهما: (وأيم الله لو أنكما متفقان على أمر واحد ما عصيتكما في مشورة أبدا)، وكان أبو هريرة يقول: « ما رأيت أحدا قط كان أكثر مشاورة من رسول الله صلى الله عليه وسلم»".[3]

"وفي الحديث الشريف: (استشر فإنّ المستشير معان والمستشار مؤتمن)، و(ما يستغني أحد عن مشورة)، و(ما سعد أحد برأيه ولا شقي عن مشورة)، و(مشاورة أهل الرأي ثم إتباعهم)".[4]

---

[1]- سورة الشورى، الآية: 38.
[2]- سورة آل عمران، الآية: 159.
[3]- محمد حسين هيكل: الفاروق عمر، القاهرة: دار المعارف، ط9، د.ت، ص 189.
[4]- عصام محمد شبارو: الدولة العربية الإسلامية الأولى ((1-41)هـ / (623-661)م، بيروت: دار النهضة العربية، ط3، 1995م، ص 333.

وفي هذا حث النبي صلى الله عليه وسلم على طلب المشورة وأكد بأنّ صاحبها لا يشقى بعدها، وأنّ علينا طلب المشورة من أصحاب الرأي الذين هم أهل له وعلينا إتباعهم، حيث كان الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر مشاورة لأصحابه، وغرضه من هذا هو غرس هذا المبدأ في أصحابه والمسلمين من بعده حتى لا يتنازعوا فيما بينهم فينفرد كلّ أحد برأيه، وأيضا طلبا لمن كان عنده حكمة في أمر أو تجربة أو خبرة.

لما تسلم الفاروق رضي الله عنه زمام الحكم وكان عليه الفصل والقضاء والحكم في أمور رعيته أبى إلا أن يتبع صاحبيه ويسير على خطاهما ومنهاجهما فلا يبدل ولا يغير، فكان رضي الله عنه يطلب في مجلسه أصحاب الرأي من المسلمين فيشاورهم في قضايا الرعية وفي ذلك يقول: « لا خير في أمر أبرم من غير شورى»، وإتبع القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة في الشورى، فأبقى إلى جانبه كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار، يستشيرهم في كلّ مسألة لا يوجد فيها نص أو حديث، كما كان عمر يخشى انتشار الصحابة في المناطق التي انتشر فيها الإسلام حيث إغراء الدنيا بامتلاك الضياع وافتتان المسلمين بهم ممّا يوفر لكل منهم الأرض والمال والأتباع فيكون لنفسه دولة داخل الدولة، فتضيع بذلك الخلافة ويتقسم المسلمون، لذلك كان يقول لهم: « إني أخاف أن تروا الدنيا وأن يراكم أبناؤها».[1]

وكان عمر رضي الله عنه يرى الشورى نظاما أساسيا واجب التطبيق في أرجاء الدولة كلها، فكان يحث أصحابه بعد أن يقلدهم مناصب حساسة في الدولة كقائد الجند أو أمير مدينة ما أو غير ذلك بطلب المشورة من

[1]- المرجع السابق، ص 333-334.

أصحابهم وعدم الإنفراد بآرائهم، وهذا ما نلمسه من قوله لأبي عبيد يوم بعثه إلى العراق:

"« اسمع من أصحاب رسول الله وأشركهم في الأمر، ولا تجتهد مسرعا فإنها الحرب لا يصلحها إلا الرجل المكث الذي يعرف الفرصة» وكذلك كان يفعل مع الولاة سواء منهم من ولى شؤون الحرب ومن ولى غيرها".[1]

وقد توسع نطاق الشورى في خلافة عمر رضي الله عنه لكثرة المستجدات والأحداث وامتداد رقعة الإسلام إلى بلاد ذات حضارات وتقاليد ونظم متباينة، فولدت مشكلات جديدة احتاجت إلى الاجتهاد الواسع مثل: معاملة الأرض المفتوحة، وتنظيم العطاء وفق قواعد جديدة، فكان عمر يجمع للشورى أكبر عدد من الصحابة الكبار.[2]

وكان لديه رضي الله عنه مجموعة خاصة من الصحابة الكبار، يحكم على ضوء آرائهم في كل مسألة لا يجد لها ذكرا في القرآن الكريم والسنة النبوية، "وكان في مقدمتهم العباس بن عبد المطلب، وعبد الله بن عباس، وعلي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، ومن إليهم، وكان يلجأ في كثير من الأحيان إلى الشورى العامة".[3]

وكان لأشياخ بدر مكانتهم الخاصة في الشورى، لفضلهم وعلمهم وما سبقتهم، إلا أنّ عمر رضي الله عنه أخذ يشوبهم بشباب لأنّ الدولة لابدّ لها من تجديد رجالاتها، وكان عمر العبقري الفذ قد فطن إلى هذه الحقيقة

[1]- محمد حسين هيكل: الفاروق عمر، ص 190.
[2]- علي الصلابي: فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب، ص 109.
[3]- محمد حسين هيكل: الفاروق عمر، ص 190.

فأخذ يختار من شباب الأمة من علم منهم علما و ورعا وتقى، فكان عبد الله بن عباس من أولهم، ومازال عمر يجتهد متخيرا من شباب الأمة مستشارين له متخذا القرآن فيصلا في التخيّر حتى قال عبد الله بن عباس: « وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولا كانوا أو شبانا».[1]

نرى من هذا القول حكمة عمر رضي الله عنه إذ أقحم الشباب في مشاوراته ليمرّسهم على أمور الحكم، ويستفيد من رجاحة عقلهم وفهمهم الثاقب وبصرهم النافذ فيسهموا بإعطاء أفكار جديدة، لأنّ مستقبل كلّ أمة هو شبابها الواعد الحامل لراية آبائه وهذا ما فطن له عمر وأيقنه.

"وقد قال الزهري لغلمان أحداث: لا تحتقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم فإنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا نزل به الأمر المعضل دعا الفتيان فاستشارهم يبتغي حدّة عقولهم، وقال بن سيرين: إن كان عمر رضي الله عنه ليستشير في الأمر، حتى إن كان ليستشير المرأة فربما أبصر في قولها الشيء يستحسنه فيأخذه، وقد ثبت أنه استشار مرة أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها".[2]

وكان هناك ثلاثة أنواع من المجالس الاستشارية:

1) <u>مجلس المهاجرين والأنصار:</u>

يتشكل هذا المجلس من كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار من ذوي الخبرة والتجربة، فكانوا يزودون الخليفة بالنصيحة ويتناقشون معه في القضايا الهامة، فإذا طرأ أمر يحتاج إلى التدبير كان أعضاء هذا

[1]- علي الصلابي: فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب، ص 109.
[2]- المرجع نفسه.

المجلس يجتمعون. والمعروف أنّ عامة المسلمين اعترفوا بتقدم المهاجرين والأنصار وأسبقيتهم، ومن أعضاء هذا المجلس: العباس بن عبد المطلب، عثمان بن عفان، علي بن أبي طالب، عبد الرحمن بن عوف، معاذ بن جبل، أبي بن كعب وزيد بن ثابت، وتعدّ أحكام هذا المجلس كافية في شؤون الحياة اليومية العادية.[1]

2) مجلس العامة:

يتألف هذا المجلس من عامة المسلمين، المهاجرين والأنصار وزعماء البدو الوافدين على المدينة، فتعرض عليهم القضايا الهامة على مستوى الأمة الإسلامية ويناقشونها، أما طريقة انعقاد المجلس، فكان ينادى للصلاة جامعة، وعندما يجتمع الناس يذهب عمر إلى المسجد النبوي، وهو المكان المخصص لانعقاد المجلس، فيصلي ركعتين، ويصعد بعد الصلاة على المنبر، ويلقي خطبة، ثم يقدم القضية التي تحتاج إلى النقاش والبحث.[2]

ومن بين القضايا التي ناقشها هذا المجلس؛ قضية الجبهة العراقية بعد مقتل أبي عبيد الثقفي، إذ همّ الخليفة أن يذهب بنفسه، فقال العامة: سر وسر بنا معك، وأجمع الخاصة على أن يبعث رجلا من أصحاب رسول الله على رأس الجيش إلى العراق، ويبقى هو بالمدينة يمدّ هذا الرجل، عند ذلك جمع الناس وقال لهم: « يحق للمسلمين أن يكونوا وأمرهم

[1]- محمد سهيل طقوش: تاريخ الخلفاء الراشدين، ص 325.
[2]- المرجع نفسه، ص 325-326.

شورى بينهم، وإني إنما كنت كرجل منكم حتى صرفني ذوي الرأي منكم عن الخروج، فقد رأيت أن أقيم وأن أبعث رجلا».[1]

3) مجلس المهاجرين:

و وجد في عهد عمر مجلس آخر مخصص لمناقشة الشؤون الإدارية والمتطلبات اليومية الخاصة الناتجة عن الفتوح، ولا يشترك فيه إلا المهاجرين من الصحابة. إنه مجلس خاص كان عمر يعرض فيه الأخبار اليومية التي كانت تصل إليه من الأقاليم والمراكز، وقد عرضت على هذا المجلس مسألة فرض الجزية على المجوس.[2]

وهذه كانت صورة عن النظام السياسي في عهد عمر، إذ كان قائما على الشورى، سالكا بذلك نهج النبي صلى الله عليه وسلم وخليفته الأول أبي بكر رضي الله عنه، فكان عمر يستشير كبار الصحابة وعامة المسلمين في مختلف القضايا التي لم يرد فيها نص لا في الكتاب ولا في السنة، فقد نمى الإحساس لدى الأمة بحقها في الشورى والمعارضة ومبادرتها في النصح والتوجيه والتقويم بالسيف إذا اعوج الخليفة، فلكم كانت قوة الإحساس بمسؤولية الحاكم أمام الله وأمام الأمة عظيمة عند عمر رضي الله عنه.

"قال عمر: « من رأى منكم فيّ اعوجاجا فليقومه»، فقال له أحد السامعين: والله لو رأينا فيك إعوجاجا لقومناه بسيوفنا « فحمد الله وابتهل إليه بالشكر أن جعل في أمة محمد من يقوم عمر بسيفه إذا إعوج»، ورأى حذيفة رضي الله عنه عمر حزينا فقال له: ما يهمك يا أمير

[1]- محمد حسين هيكل: الفاروق عمر، ص 190.
[2]- محمد سهيل طقوش: تاريخ الخلفاء الراشدين، ص 327.

المؤمنين؟ قال: « إني أخاف أن أقع في منكر فلا ينهاني أحد منكم تعظيما»، قال حذيفة: والله لو رأيناك خرجت عن الحق لنهيناك، فسرّ عمر وقال: « الحمد لله الذي جعل لي أصحابا يقومونني إذا إعوججت»".[1]

وكان عمر يرى نفسه كرجل من أهل رعيته قد يصيب وقد يخطئ، ويرى بانه ضعيف حتى إن ولى الخلافة فلن تعظمه، وإنما العظمة لله عزّ وجل وليست للعباد، وهو يوفق ويعين.

قال في خطبة له: « إني امرؤ مسلم ضعيف إلا ما أعان الله عزّ وجلّ، ولن يغير الذي وليت من خلافتكم من خلقي شيئا إن شاء الله، إنما العظمة لله عزّ وجلّ وليس للعباد منها شيء، فلا يقولن أحد منكم إنّ عمر تغيّر منذ ولي، أعقل الحق من نفسي، وأتقدم وأبيّن لكم أمري، وأيما رجل كانت له حاجة أو ظلم مظلمة أو عتب عليّ في خلق، فليؤدني، فإنما أنا رجل منكم».[2]

[1]- صالح عوض: النظام السياسي في الفكر العربي الإسلامي، الجزائر: الشروق للإعلام والنشر، ط1، 2010م، ص 154.
[2]- محمود شيت خطاب: عمر بن الخطاب الفاروق القائد، بيروت: دار مكتبة الحياة، ط2، د.ت، ص 171.

4- عدالتـــــه:

لاشك أنه حتى ترتكز وتثبت أمور الحكم على منهج الله الذي أقرّه في كتابه وبيّنه على لسان بنيه لابدّ من التحلي بالصفات التي تجعل من الحاكم ذا كلمة مسموعة، مطاع من رعيته، موقر من صغير وكبير وأهم هذه الصفات هو العدل الذي ما إن يهمله صاحب الأمر حتى يهلك ويضيع ملكه وحكمه وفي هذا يقول الله عزّ وجلّ في كتابه العزيز آمرا نبيه داوود بأن يكون عادلا في قضائه وحكمه بين الناس: ﴿ **يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ**﴾[1]، فكان وعيده عزّ وجلّ للذين يضلون عن سبيله الذي أوضحه وبيّنه واتبعوا هواهم بالعذاب الأليم والشديد يوم يلقونه، كما جاء في موضع آخر من كتاب الله عزّ وجل يأمر فيه بالعدل والإحسان فقال: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى ..**﴾[2]، كما ينهى سبحانه وتعالى عن الحكم بالجور بين الناس والميل إلى غير الحق مخافة أو طلب ود أو قربى وغير ذلك فيقول: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ**

[1]- سورة ص، الآية: 26.
[2]- سورة النحل، الآية: 90.

اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾[1]، وقد أقرّ الفاروق بهذا المبدأ في كثير من خطبه التي رأينا وأكد على إقامته للحق والقسط بين الناس وكان من الأوائل الذين دعوا إلى المساواة بين الناس وناشد بها العالم الإسلامي أجمع، والعدل الذي كان يناشده هو عدل الإسلام الذي أعطى كلّ ذي حق حقه وأنصف كل المخلوقات وبين لكل شخص ما له وما عليه، فكان مضرب المثل في سمة العدل فسمي "الفاروق" الذي فرق الله به بين الحق والباطل وسمي "عمر الحق"، فلم يعرف التاريخ الإسلامي حاكما عادلا مثله بعد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضوان الله عليه.

وهذا ما فعله الفاروق في دولته، فقد فتح الأبواب على مصاريعها لوصول الرعية إلى حقوقها، وتفقد بنفسه أحوالها، فمنعها من الظلم المتوقع عليها، وأقام العدل بين الولاة والرعية، في أبهى صورة عرفها التاريخ، فقد كان يعدل بين المتخاصمين ولا يهمه أن يكون المحكوم عليهم من الأقرباء أو الأعداء أو الأغنياء أو الفقراء.[2]

قال تعالى: **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾**[3]

[1]- سورة النساء، الآية: 58.
[2]- علي الصلابي: فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب، ص 112.
[3]- سورة المائدة، الآية: 8.

وكان من تمام عدله رضي الله عنه اقتداءه بالنبي صلى الله عليه وسلم، فكان رضي الله عنه ينهى أهله أن يأتوا أو يقترفوا ما نهى الناس عنه وكا يضعف عليهم الجزاء وهذا كله طاعة لله عزّ وجل أوّلا وكي لا تكون ذريعة على الناس فيقولوا إنّ عمر يترك عن أهله الحد ونحن تقام علينا الحدود.

فكان إذا أراد أن ينهى الناس عن شيء تقدم إلى أهله فقال: « لا أعلمنّ أحدا وقع في شيء ممّا نهيت عنه إلا أضعفت له العقوبة»، وكان يدرك ما يقتضيه الحكم بين الناس من أناة ودقة ومحاسبة النفس، فإذا أتاه الخصمان برك على ركبتيه وقال: « اللهم أعنّي عليهما، فإنّ كلّ واحد منهما يريدني عن ديني»، ذلك أنه كان أشدّ عباد الله خشية لله و وجلا من حسابه.[1]

وكان من أول ما خطب به الناس قوله: « والله ما فيكم أحد أقوى عندي من الضعيف حتى آخذ له الحق، ولا أضعف عندي من القوي حتى آخذ الحق منه».[2]

هذه كانت قولته المشهورة التي أكد فيها رضي الله عنه أنّ الضعيف عنده قوي حتى يأخذ له الحق وأنّ القويّ عنده ضعيف حتى يأخذ منه الحق، والكل عنده متساوون لا يهمه ولا يخيفه قوي ولا غني، فالقوي والغني عند عمر هو الله عزّ وجل وما دونه خلق ضعفاء، وإنّ القوة عنده لا تكون بأخذ حق الغير أو الاعتداء عليه وظلمه.

[1]- علي الصلابي: فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب، ص 112.
[2]- محمد حسين هيكل: الفاروق عمر، ص 196.

عن عامر الشعبي، قال: قال عمر: « والله لقد لان قلبي في الله حتى هو ألين من الزبد ولقد اشتدّ قلبي في الله حتى لهو أشدّ من الحجر»، وعن أبي فراس قال: خطب عمر بن الخطاب فقال: « إني والله ما أرسل عمالي إليكم ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم ولكن أرسلتهم ليعلموكم دينكم وسننكم فمن فعل به سوء ذلك فليرفعه إليّ فو الذي نفسي بيده إذن لأقصنه. فوثب عمروبن العاص فقال: يا أمير المؤنين أفرأيت إن كان رجل من المسلمين على رعيته فأدب بعض رعيته إنك لمقضه منه، قال: أي والذي نفس عمر بيده إذن لأقصنه منه أني لا أقص منه وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ولا تنزلوهم العياض فتضيعوهم».[1]

وفي هذا يتضح لنا أنّ عمر قد أوصى عماله بأن يقيموا حدود الله بين الناس بالعدل والقسط فإنما بعثهم ليعلموهم أمور دينهم ويفقهوهم فيه، ونرى بأنه كان يتولى الاقتصاص بنفسه إذا ظلم عماله ولم يعملوا بأمره، فينصف المشتكي ويقتص من الوالي إذا لم يعدل.

ومن ذلك قوله لهم: « اجعلوا الناس عندكم سواء، قريبهم كبعيدهم، وبعيدهم كقريبهم، وإياكم والرّشا والحكم بالهوى، وأن تأخذوا الناس عند الغضب! فقوموا بالحق ولو ساعة من النهار». وكان يرى نفسه مسؤولا أمام ضميره وأمام الله عن إقامة هذا العدل في كل مكان، فإذا ظلم عامله في أقصى الأرض رجلا فكأنما هو الذي ظلمه، قال يوما لمن حوله: « أرأيتم إذا استعملت عليكم خير من أعلم ثم أمرته بالعدل أكنت قضيت

[1]- ابن الجوزي: تاريخ عمر بن الخطاب،الجزائر:الزهراء،ط1،1990م، ص 89-90.

الذي عليّ؟» قالوا: نعم! قال: « لا! حتى أنظر في عمله، أعمل بما أمرته به أم لا».[1]

يحيلنا هذا القول إلى شدة حرص عمر في إقامة العدل بين الناس فقد كان يرى نفسه مسؤولا عنه، فلو أنّ عاملا أخطأ وظلم شخصا ما في الأرض التي وليه عليها فإنه ينسب هذا الاعتداء والظلم لنفسه رضي الله عنه لأنه هو من اختاره ووثق فيه، وهذا من تمام خوفه من الله عزّ وجلّ فكان يحاسب نفسه قبل أن يحاسب غيره.

ولم يكن عدل عمر لسبب واحد بل لجملة من الأسباب:

- كان عادلا لأنه ورث القضاء من قبيلته وآبائه، الذين تولوا السفارة والتحكيم في الجاهلية.
- وكان عادلا لأنه قوي مستقيم بتكوين طبعه، إذ كان أبوه الخطاب وجده نفيل من أهل الشدة والبأس، وكانت أمه ختمة بنت هشام بن المغيرة قائد قريش في كل نضال.
- إن فقه القدوم على الله كان قويا عنده لدرجة أنه كان في كل عمل يقوم به يتوخى مرضاة الله قبل مرضاة الناس، ويخشى الله ولا يخشى أحدا من الناس.
- إنّ سلطان الشرع كان قويا في نفوس الصحابة والتابعين بحيث كانت أعمالهم تلقى تأييدا وتجاوبا من الجميع.
- إنه كان شديد التمسك بالحق حتى إنه كان على نفسه وأهله أشدّ منه على الناس.[2]

---

[1]- محمد حسين هيكل: الفاروق عمر، ص 201.

[2]- علي الصلابي: فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب، ص 112.

فإلى جانب كون هذا الطبع قد أخذه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنّ صفة العدل كانت في قبيلته التي وليت القضاء في الجاهلية، إضافة إلى شدته وقوته التي استمدها من أبيه وجده اللذان عرفا بالبسالة والشجاعة، وورثها أيضا عن جده المغيرة قائد قريش في المعارك.

وهذه بعض مواقفه في إقامته للعدل والقسط بين الناس:

"أخرج الإمام مالك عن طريق سعيد بن المسيب: أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه اختصم إليه مسلم ويهودي، فرأى عمر أنّ الحق لليهودي فقضى له، فقال له اليهودي: والله لقد قضيت بالحق".[1]

كان عدل عمر يمس الناس جميعا بغض النظر عن مللهم وعقائدهم فلم يحمله كفر اليهودي على ظلمه وأخذ حقه، لأنّ العدل في نظره مبدأ من مبادئ الإسلام به تفتح قلوب الناس للإيمان.

"وعن جرير بن عبد الله البجلي: أنّ رجلا كان مع أبي موسى الأشعري وكان ذا صوت ونكاية في العدو فغنموا مغنما فأعطاه أبو موسى بعض سهمه فأبى أن يقبله إلا جميعا، فجلده أبو موسى عشرين سوطا وحلقه. فجمع الرجل شعره ثم ترحل إلى عمر بن الخطاب حتى قدم عليه فدخل قال جرير: وأنا أقرب الناس من عمر، فادخل يده فاستخرج شعره ثم ضرب به صدر عمر بن الخطاب، فقال: أما والله لو لا، فقال عمر: صدق لو لا النار، فقال: يا أمير المؤنين، إني كنت ذا صوت ونكاية في العدو وأخبره بأمره وقال: ضربني أبو موسى عشرين سوطا وحلق رأسي وهو يرى أن لا يقتص منه، فقال عمر: لأن يكون

[1]- المرجع السابق، ص 113.

الناس كلهم على صرامة هذا أحب إليّ من جميع ما أفاء الله عليّ، فكتب عمر إلى أبي موسى: سلام عليكم أما بعد، فإنّ فلانا أخبرني بكذا وكذا فإن كنت فعلت ذلك في ملأ من الناس فعزمت عليك لما قعدت له في ملأ من الناس حتى يقتص منك وإن كنت فعلت ذلك في خلاء من الناس فاقعد له في خلاء من الناس حتى يقتص منك، فقدم الرجل، فقال له الناس: اعف عنه، فقال: لا والله! لا أدعه لأحد من الناس، فلما قصد أبو موسى ليقتص منه رفع الرجل رأسه إلى السماء، ثم قال: اللهم قد عفوت عنه".[1]

لقد بلغ حزمه رضي الله عنه حتى مع أصحابه المقربين الذين يكّن لهم المودة، فهذا أبو موسى الأشعري الصحابي الجليل يقتص منه عمر عندما علم بما صنعه مع الرجل الذي كان معه في الجيش، إذ قام أبو موسى بجلد الرجل وحلق رأسه، فاقتص منه عمر بنفس الطريقة التي عاقب بها أبو موسى الرجل وهذا كان دأبه رضي الله عنه لا يعرف خليلا ولا ابنا ولا صديقا ولا واليا ولا حتى قرابة في إحقاق الحق وتنفيذ العدل.

"وعن أنس بن مالك قال: كنا عند عمر بن الخطاب إذ جاءه رجل من أهل مصر فقال: يا أمير المؤمنين هذا مقام العائذ بك، قال: وما لك، قال: أجرى عمر بن العاص الخيل بمصر فأقبلت (فرس لي) فلما ترآها الناس قام محمد بن عمرو فقال: فرسي ورب الكعبة، فلما دنا مني عرفته فقلت: فرسي ورب الكعبة، فقام يضربني بالسوط ويقول: خذها، خذها، وأنا ابن الأكرمين. قال: فو الله؟ ما زاد عمر على أن قال: اجلس، ثم كتب إلى عمر: « إذا جاءك كتابي هذا فأقبل وأقبل معك ابنك محمد»، قال: فدعى عمرو ابنه فقال: أحدثت حدثا أجنيت جناية، قال: لا، قال: فما بال عمر

[1]- ابن الجوزي:تاريخ عمر بن الخطاب، ص 90.

يكتب فيك، قال: فقدما عمر، قال أنس: فو الله إنا عند عمر بمنى إذ نحن بعمرو وقد أقبل في إزار ورداء فجعل عمر يلتفت هل يرى ابنه فإذا هو خلف أبيه.[1]

ودعاهما إلى مجلس القصاص، فلما مثلا فيه نادى عمر: أين المصري؟ دونك الدّرة فاضرب بها ابن الأكرمين! وضرب المصري محمدا حتى أثخنه وعمر يقول: اضرب ابن الأكرمين! فلما فرغ الرجل وأراد أن يردّ الدّرة إلى أمير المؤنين قال له: « أجلها على صلعة عمرو، فو الله ما ضربك ابنه إلا بفضل سلطانه!»، قال عمرو: يا أمير المؤنين قد استوفيت واستشفيت، وقال المصري: يا أمير المؤنين، قد ضربت من ضربني: فقال عمر: « إنك والله لو ضربته ما حلنا بينك وبينه حتى تكون أنت الذي تدعه، والتفت إلى عمرو مغضبا وقال: أيا عمرو! متى تعبّدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا!».[2]

لم يسمح عمر بن الخطاب لولاته أن يتعبدوا الناس بسلطتهم ومكانتهم التي خوّلها لهم، فكان يقتص من الولاة أنفسهم ليوعيهم ويذكرهم بحدود الله التي تجاوزوها، فإنما أمّرهم عليهم ليصونوا حقوقهم ويكفلوا حريتهم لأنّ ولاية الرعية في الإسلام ليست بتعبّد الناس واحتقارهم وظلمهم وسلب أموالهم، وإنما هي القيام على شؤون الرعية والسهر على راحتها وأمانها ورعاية حقوقها.

ومن الأمثلة التاريخية التي تدل أيضا على مساواته بين الناس ما صنعه عمر مع جبلة بن الأيهم: كان جبلة آخر أمراء بني غسان من قبل

[1]- المصدر السابق، ص 93.
[2]- محمد حسين هيكل: الفاروق عمر، ص 198.

هرقل، وقد أسلم وأسلم ذووه معه، وكتب إلى الفاروق يستأذنه في القدوم إلى المدينة، ففرح عمر بإسلامه وقدومه، فجاء إلى المدينة، وأقام بها زمنا والفاروق يرعاه ويرحب به، ثم بدا له أن يخرج إلى الحج، وفي أثناء طوافه بالبيت الحرام وطئ إزاره رجل من بني فزارة فحله، وغضب الأمير الغساني لذلك فلطمه لطمة قاسية هشّمت أنفه، وأسرع الفزاري إلى أمير المؤنين يشكو إليه ما حلّ به، وأرسل الفاروق إلى جبلة يدعوه إليه، ثم سأله فأقرّ بما حدث فقال له عمر: ماذا دعاك يا جبلة لأن تلطم أخاك هذا فتهشم أنفه؟

فأجاب بأنه قد ترفق كثيرا بهذا البدوي (وأنه لو لا حرمة البيت الحرام لأخذت الذي فيه عيناه).

فقال له عمر: لقد أقررت، فإما أن ترضي الرجل وإما أن أقتص له منك، وزادت دهشة جبلة بن الأيهم لكل هذا الذي يجري، وقال: وكيف ذلك وهو سوقة وأما ملك؟!

فقال عمر: إنّ الإسلام قد سوى بينكما.

فقال الأمير الغساني: لقد ظننت يا أمير المؤنين أن أكون في الإسلام أعز مني في الجاهلية.

فقال الفاروق: دع عنك هذا، فإنك إن لم ترضي الرجل اقتصصت له منك، فقال جبلة: إذن أتنصر.[1]

وفي هذه القصة، نرى حرص الفاروق على مبدأ المساواة أمام الشرع، فالإسلام قد سوى بين الملك وعامة الناس، فكان عدل عمر واقعا

[1]- علي الصلابي: فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب، ص 117-118.

حيا في تطبيق هذا المبدأ، فلم يردعه شرف قوم وملكهم عن إقامة الحدّ والقصاص، إذ ترفعت نفس جبلة بن الأيهم عن طلب السماح من رجل متواضع بينما هو أمير فذكّره رضي الله عنه أنّ الإسلام يساوي بين المسلمين ولا فضل لأحد على آخر إلا بالتقوى، والحكمة هنا هو فعل عمر رضي الله عنه الذي خلده التاريخ الإسلامي عن نهج الحكم عند الخلفاء الراشدين، فهو الذي حكّم شرع الله على ميوله وعاطفته وساوى بين الناس مهما كانت مقاماتهم وسلطانهم.

"وعن جرير بن حازم قال: سمعت الحسن يقول: حضر باب عمر سهيل بن عمر، والحارث بن هشام، وأبو سفيان بن حرب، ونفر من قريش من تلك الرؤوس، وصهيب وبلال، وتلك الموالي الذين شهدوا بدرا. فخرج آذن عمر فأذن لهم وترك هؤلاء فقال أبو سفيان: لم أرى كاليوم قط: يأذن لهؤلاء العبيد ويتركنا على بابه لا يلتفت إلينا، فقال سهيل بن عمرو- وكان رجلا عاقلا-: أيها القوم إني والله لقد أرى الذي في وجوهكم، إن كنتم غضابا فاغضبوا على أنفسكم، دعي القوم ودعيتم، فأسرعوا وابطأتم، فكيف بكم إذا دعوا يوم القيامة وتركتم؟".[1]

كان عمر يحب الضعفاء والموالي والخدام ويعطف عليهم ويحن لهم ويقضي لهم حاجاتهم بنفسه ويكره أذيتهم من طرف ساداتهم وأشرافهم، فكان إذا زار بيتا وعرض عليه طعام أجلس معه خدام البيت ليأكلوا معه.

وفي هذا يروي لنا ابن عباس:

[1]- ابن الجوزي:تاريخ عمر بن الخطاب، ص 92.

"قال: قدم علينا عمر بن الخطاب حاجّا، فصنع له صفوان بن أمية طعاما فجاؤوا بجفنة يحملها أربعة فوضعت بين يدي القوم فقام القوم يأكلون وقام الخدام، فقال عمر: ما لي أرى خدامكم لا يأكلون معكم، أترغبون عنهم، فقال: سفيان بن عبد الله: لا والله يا أمير المؤنين، ولكنا نستأثر عليهم، فغضب غضبا شديدا ثم قال: ما لقوم يستأثرون على خدامهم فعل الله بهم، وفعل، ثم قال للخدام: اجلسوا فكلوا، فقعد الخدام يأكلون، ولم يأكل أمير المؤنين".[1]

نرى هنا روح الإسلام وتعاليمه إذ لم يزدري العبيد والموالي على الرغم من مكانته والملك الذي رآه بلاءا، لأنّه تشبع بقيم القرآن، فلا يرى نفسه أعظم وأنبل من غيره وإنما الرفعة بتقوى الله فالكل سواسية في الإسلام ولا وجود لعنصرية أو تحيّز.

وروى عمر بن شبه بإسناد له قال: قال عمروبن العاص لرجل: من تجيب يا منافق، فقال التجيبي: ما نافقت منذ أسلمت ولا أغسل لي رأسا ولا أدهنه حتى آتي عمر، فقال: يا أمير المؤنين إنّ عمرا نفقني ولا والله ما نافقت منذ أسلمت، فكتب عمر إلى عمرو، وكان إذا غضب كتب إليه العاصي بن العاصي: أما بعد فإنّ فلانا التجيبي ذكر أنك نفقته وإني أمرته إن أقام عليك شاهدين أن يضربك أربعين أو سبعين. فقال له حشمه: أتريد أن تضرب الأمير، فقال: ما أرى لعمرها هنا طاعة، فلما أبى قال عمرو: أتركوه فأمكنه من السوط وجلس بين يديه، فقال: أتقدر

[1]- المصدر السابق، ص 91.

أن تمنع مني بسلطانك، قال: لا. قال: فامض لما أمرت به. قال: فإني أدعك الله عن سلام".[1]

كان عمر يقتص من ولاته حتى إذا سبّوا أو شتموا أحد رعاياهم بصفة قبيحة، فينصف المشتكي ويرجع له حقه.

وعن المسيب بن دارم، قال: رأيت عمر بن الخطاب يضرب جمالا وهو يقول: حمّلت جملك ما لا يطيق.[2]

وفي هذه الحادثة من هدي النبي صلى الله عليه وسلم الذي تعلموا منه الرفق بالحيوان والبهيمة، فالنبي كانت تشتكي له البهيمة ويفهم ما تقول ويؤنّب صاحبها على فعله إن حملها فوق طاقتها أو قام بضربها، فها هو عمر رضي الله عنه يقتدي بنبيّ الرحمة ويقتدي به في أموره كلها، وما ضرب عمر هذا الرجل إلا رحمة بهذا الحيوان الذي سخره الله لخدمة هذا المسلم ولأنه يرى نفسه مسؤولا عنه وعن ظلمه فقد مسّ عدله وإنصافه الحيوان أيضا، فكانت خلافته رحمة للمسلمين وللحيوان أيضا.

"وكان عمر يصوم الدهر، فكان زمن الرمادة إذا أمسى أتى بخبز قد ثرّد بالزيت، إلى أن نحروا يوما من الأيام جزورا، فأطعمها الناس وغرفوا له طيبها فأتى به، فإذا قديد من سنام وكبد، فقال: أنّى هذا؟ فقالوا: يا أمير المؤنين من الجزور التي نحرناها اليوم، فقال: بخ بخ، بئس الوالي أنا إن أكلت طيبها، وأطعمت الناس كرادسها، ارفع هذه

[1]- المصدر السابق، ص 90-91.
[2]- المصدر نفسه، ص 91-92.

الجفنة، هات غير هذا الطعام، فأتى بخبز وزيت، فجعل يكسر بيده ويثرد ذلك الخبز".[1]

لقد كان رضي الله عنه وأرضاه زاهدا في الدنيا، يرى نفسه عبدا مثل العباد ورجلا من عامة الناس لا يزيد عليهم في شيء فلا يلبس أفضل منهم ولا يأكل خيرا منهم، وما كونه حاكما إلا بلية قد ابتلى بها وعبئا قد احتمله وليس كما نراها اليوم تكريما وتشريفا، فها هو رضي الله عنه قد أوتي بلحم من جزور قد ذبحوه وهو الذي لم تعرف بطنه اللحم وطيب الطعام منذ زمن، فأبى أن يأكل أطيبه بينما يأكل الناس العظام، فلم يأكل من الطعام ما لا يتسنى لجميع المسلمين وعدل بينه وبينهم في مأكله، ولم يكن عمر يطبق مبدأ المساواة في الطعام والشراب في المدينة وحدها، بل أمر به عماله في الأقاليم الأخرى أيضا.

"فعندما قدم عتبة بن فرقد أذربيجان أتى بالخبيص، فلما أكله وجد شيئا حلوا طيبا، فقال: والله لو صنعت لأمير المؤنين من هذا، فجعل له سفطين عظيمين، ثم حملهما على بعير مع رجلين، فسرّح بهما إلى عمر، فلما قدما عليه فتحهما، فقال: أيّ شيء هذا؟ قالوا: خبيص، فذاقه، فإذا هو شيء حلو، فقال: أكل المسلمين يشبع من هذا في رحله؟ قال: لا، قال: أما لا فارددهما ثم كتب إليه :« أما بعد، فإنه ليس من كد أبيك ولا من كد أمك، أشبع المسلمين ممّا تشبع منه في رحلك»".[2]

وعليه كان عمر رضي الله عنه يعلّم عماله في الأقاليم ويزرع فيهم العدل والمساواة بين جميع الناس دون تفريق، وأن لا يتعالوا ويترفعوا

[1]- علي الصلابي: فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب، ص 115.
[2]- المرجع نفسه.

عليهم وألا يمنعوهم من نعم الله التي فتحها الله على المسلمين باتساع الفتوح وامتلاء الخزائن، فيتمتعون بها ويحرمون المسلمين من حقوقهم وأموالهم التي منّ الله عليهم.

"وقد روى الفخري أيضا عن عمر قصة تشهد بشدة حرصه على مساواة نفسه بسائر المسلمين، قال: « جاءت عمر بن الخطاب برود من اليمن ففرّقها بين المسلمين فخرج في نصيب كل برد واحد ونصيب عمر كنصيب واحد منهم، قيل: واعتلى عمر المنبر وعليه البرد وقد فصّله قميصا، فندب الناس للجهاد، فقال له رجل: لا سمعا ولا طاعة، فقال عمر: ولما ذلك؟ قال الرجل لأنك استأثرت علينا، لقد خرج في نصيبك من الأبراد اليمنية برد واحد، وهو لا يكفيك ثوبا، فكيف فصّلته قميصا وأنت رجل طويل؟ فالتفت عمر إلى ابنه قائلا: أجبه يا عبد الله، فقال عبد الله: لقد ناولته من بردي فأتمّ قميصه منه، قال الرجل: أما الآن فالسمع والطاعة»".[1]

نرى في هذا القول قوة العدل عند عمر وخوفه من الله عزّ وجلّ، فلم يأخذ من البرد إلا ما كان نصيبه كسائر المسلمين على الرغم من أنه لا يكفيه، ولكن عمر يرضى به ولا يأخذ من حق المسلمين الذي يعتبره أمانة سيعاقب عن أداء حقها، ونعدّ هذه القصة أصدق شهادة على عدله، فكان الفاروق قدوة في عدله، بهرت العالم الإنساني، وزادت من عظمة الحضارة الإسلامية عبر التاريخ، وأعطتنا مثالا حيا عن الحكم الإسلامي الحق، حتى اقترن اسمه رضي الله عنه بالعدل فبات من الصعب علينا الفصل بين الاثنين.

[1]- محمد حسين هيكل: الفاروق عمر، ص 194-195.

الفصل الثالث
إسهامات الخليفة عمر ابن الخطاب
في تطوير النظم الإسلامية
وأثرها في الحضارة الإنسانية

إسهامات الخليفة عمر بن الخطاب في تطوير النظم الإسلامية وأثرها في الحضارة الإنسانية

1- تطوير نظام الولاية على الأقاليم.

2- تطوير النظام القضائي.

3- تطوير النظام الإداري.

4- تطوير النظام الاقتصادي.

1-تطوير نظام الولاية على الأقاليم:

أسهم الخليفة عمر رضي الله عنه في تطوير نظام الولاية على الأقاليم، فقسم البلاد الإسلامية إلى ولايات كبيرة ووضع على رأس كل ولاية والي يحكمها ويقوم بتسيير شؤونها وينوب عمر عليها، وذلك ليطمئن على رعيته بسبب بعدهم عنه باتساع الأقاليم الإسلامية، على أنّ الوالي لم تكن له سلطة مستقلة بل كانت سلطته تابعة للخليفة عمر رضي الله عنه وترك في يد الوالي السلطة التنفيذية وإمامة المسلمين، فخفض بذلك من عبء الوالي ليفرغ لمهامه التي حددها له فقط، فأعطى بذلك عمر تنظيما جديدا في النظام السياسي، كان من بين إسهاماته التي لعبت دورا فعّالا في تطور النظم الإسلامية في الحضارة الإسلامية، والواقع الذي ينقله لنا التاريخ الإسلامي عن طريقة تسيير ولاة عمر للدولة الإسلامية في عهده خير دليل على إيجابية هذا التطوير والذي أدّى إلى ازدهار حضارتنا الإسلامية في عهده رضوان الله عليه.

والولايات التي قسمها عمر هي: "ولاية الأهواز والبحرين، و ولاية سجستان ومكران وكرمان، وولاية طبرستان، و ولاية خراسان، وجعل فارس ثلاث ولايات، وبلاد العراق قسمها قسمين أحدهما حاضرته الكوفة والآخر حاضرته البصرة، وقسم بلاد الشام قسمين: أحدهما قاعدة حمص والثاني دمشق، وجعل فلسطين قسما قائما بذاته، وقسم إفريقية إلى ثلاث ولايات: مصر العليا ومصر السفلى، وغربي مصر، وصحراء ليبيا ، وعيّن عمر على هذه الولايات ولاة يستمدون سلطتهم من الخليفة الذي كان يجمع في يده السلطتين التنفيذية والقضائية".[1]

[1]- حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام، ص 369.

وفي عهده سمي الوالي أو العامل بالأمير (وأول من سمي بالأمير هو المغيرة بن شعبة) ثم شمل هذا اللفظ غيره من الولاة، وكان الأمير في البداية سلطان الخليفة في إقليمه وفي يده السلطات الثلاث: التشريعية والتنفيذية والقضائية، لكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فصل هذه السلطات الثلاث عن بعض وترك للأمير السلطة التنفيذية وسلطة الإمامة في المسجد، وفصل عنه القضاء، فعيّن قضاة في الأمصار، وفصل عنه الخراج فعيّن أصحابا للخراج والصدقات.[1]

وينقل لنا الطبري ولاة عمر الذين عيّنهم على الولايات التي ذكرناها آنفا، فيقول: « كان عامل عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- في السنة التي قتل فيها، وهي سنة ثلاث وعشرين على مكة "نافع بن عبد الحارث الخزاعي"، وعلى الطائف "سفيان بن عبد الله الثقفي"، وعلى صنعاء "يعلى بن منية"، وعلى الكوفة "المغيرة بن شعبة"، وعلى البصرة "أبو موسى الأشعري"، وعلى مصر "عمرو بن العاص"، وعلى حمص "عمير بن سعد"، وعلى دمشق "معاوية بن أبي سفيان"، وعلى البحرين وما والاهما "عثمان بن أبي العاص الثقفي"».[2]

وعلى هذا يكون عمر بن الخطاب رضوان الله عليه قد جاء بأسلوب مبتكر من أجل إعطاء الوالي شيئا من الاستقلالية وهو في الوقت ذاته يحافظ على وحدة الدولة السياسية والعسكرية والاجتماعية.[3]

---

[1]- أمين القضاة: الخلفاء الراشدون، ص 54.
[2]- ضيف الله محمد الأخضر: محاضرات في النظم الإسلامية والحضارة العربية، ص 99.
[3]- أمين القضاة: الخلفاء الراشدون، ص 55.

أ- شروط عمر في اختيار ولاته:

إنّ انتشار العدل والمساواة في أيّ دولة كانت عبر العالم يتطلب قادة و ولاة أكفاء ونزهاء يقدرون مدى عظم الأمانة التي أعطاها الشعب لهم، وحتى يتمّ تقليد هؤلاء القادة أو الرجال هذه المناصب العليا فإنّ ذلك يستلزم توفر شروط فيهم، ولعلّ سيدنا عمر رضي الله عنه كان له السبق في هذا حيث سار في اختيار ولاته على أساس شروط عرفت بالشروط العمرية ومن أقواله في هذا الشأن: "« من قلد رجلا على عصابة وهو يجد في تلك العصابة من هو أرضى لله منه، فقد خان الله، وخان رسوله، وخان المؤمنين»".[1]

ولنا في حسن اختيار الولاة قول الرسول صلى الله عليه وسلم الذي ينهى فيه عن اختيار الوالي الطالح وسيئ الأخلاق وترك من هو أصلح ، فيقول: "(من ولى من أمر المسلمين شيئا فولّى رجلا وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله)، وقوله أيضا: (ما من وال يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة)".[2]

أما الشروط التي وضعها عمر هي:

1. القوة والكفاءة:

وذلك حتى يكون الوالي قادرا على النهوض بالعمل المكلف به ويستطيع إخضاع الرعية لأمره بقوة شكيمته، ويقول في ذلك عمر: "« إني لأتحرج أن أستعمل الرجل وأنا أجد أقوى منه»، فعندما عزل "شرحبيل بن حسنة" عن ولاية

[1]- علي الصلابي: فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب، ص 378.
[2]- صالح عوض: النظام السياسي في الفكر العربي الإسلامي، ص 180.

الشام وأسندها إلى "معاوية"، قال له الأول: « أعن سخطة يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، إنك لكما أحبّ، ولكني أريد رجلا أقوى من رجل»".[1]

2. أن لا يكون الوالي من أقارب أمير المؤمنين:

لم يكن عمر يولي من أقاربه أحدا حتى ولو كان صالحا وكفئا وذا قوة، ولم يولي حتى أبناءه وذلك ربما حرصا منه على رعيته فلو ظلمهم مثلا فإنهم ربما لن يستطيعوا شكايته لأمير المؤمنين خجلا منه، أو خوفا منه لإهمالهم لعملهم كونهم من أقربائه، وفي هذا يروى عن عمر: « عن الحسن قال: قال عمر: أعياني أهل الكوفة إن استعملت عليهم لينا استضعفوه وإن استعملت عليهم شديدا شكوه، ولوددت أني وجدت رجلا أمينا مسلما عليهم. فقال رجل: يا أمير المؤمنين أنا والله أدلك على الرجل القوي الأمين المسلم وأثني عليه. قال: من هو؟ قال: عبد الله بن عمر. قال: قال عمر قاتلك الله والله؟ ما أردت الله بها».[2]

"وعن عبد الملك، ابن عمر قال: قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه: « من استعمل رجلا لمودة، أو لقرابة لا يستعمله إلا لذلك، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين»".[3]

3. المشورة في اختيار الولاة:

كان عمر رضي الله عنه يشاور كبار الصحابة في اختيار ولاته، فكان بذلك يطبق المبدأ الإسلامي في شؤون الدولة الإسلامية وهو الشورى، فقد قال لأصحابه رضي الله عنه يوما: « دلوني على رجل إذا كان في القوم أميرا فكأنه ليس بأمير، وإذا لم يكن بأمير فكأنه أمير فأشاروا إلى الربيع بن زياد»، وقد

[1]- محمد سهيل طقوش: تاريخ الخلفاء الراشدين، ص 333.
[2]- ابن الجوزي: تاريخ عمر بن الخطاب، ص 111-112.
[3]- المصدر نفسه، ص 78.

استشار عمر رضي الله عنه الصحابة في من يولي على أهل الكوفة فقال لهم: « من يقدرني من أهل الكوفة ومن تجنيهم على أمرائهم إن استعملت عليهم عفيفا استضعفوه، وان استعملت عليهم قويا فجّروه، ثم قال: أيها الناس ما تقولون في رجل ضعيف غير أنه مسلم تقي وآخر قوي مشدّد أيهما الأصلح للإمارة؟ فتكلم المغيرة بن شعبة فقال: يا أمير المؤمنين إنّ الضعيف المسلم إسلامه لنفسه وضعفه عليك وعلى المسلمين، والقوي المشدّد فشداده على نفسه وقوته لك وللمسلمين فأعمل في ذلك رأيك. فقال عمر: صدقت يا مغيرة، ثم ولاه الكوفة وقال له: أنظر أن تكون ممّن يأمنه الأبرار ويخافه الفجّار، فقال المغيرة: أفعل ذلك يا أمير المؤمنين»".[1]

4. الرحمة والشفقة على الرعية:

كان عمر يشترط على ولاته الرحمة في تعاملاتهم مع المسلمين، ليحسوا بهم ويتفقدوا أمورهم، فلم يستعمل الغليظ والشديد الذي لا يلين قلبه لأخيه أو لغيره، ومن ذلك "أنّ عمر بن الخطاب كتب لرجل عهدا وجاء بعض ولده فأقعده في حجره، فقال الرجل: ما أخذت ولدا لي قط. قال عمر: وما ذنبي إن كان الله عزّ وجل نزع الرحمة من قلبك، وإنما يرحم الله عز وجل من عباده الرحماء، ثم انتزع العهد من يده. وعن أبي عثمان، قال: استعمل عمر بن الخطاب رجلا من بني أسد على عمل فدخل ليسلم عليه فأتى عمر ببعض ولده فقبّله، فقال له الأسدي: أتقبل هذا يا أمير المؤمنين فو الله ما قبّلت ولدا لي قط، فقال عمر، فأنت والله بالناس أقل رحمة، لا تعمل لي عملا فرد عهده".[2]

[1]- علي الصلابي: فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب، ص 382.
[2]- ابن الجوزي: تاريخ عمر بن الخطاب، ص 113.

وغزت بعض جيوشه بلاد فارس حتى انتهت إلى نهر ليس عليه جسر فأمر أمير الجيش أحد جنوده أن ينزل- في يوم شديد البرد- لينظر للجيش مخاضة يعبر منها، فقال الرجل: إني أخاف إن دخلت الماء أن أموت، فأكرهه القائد على ذلك، فدخل الرجل الماء وهو يصرخ: يا عمراه يا عمراه! ولم يلبث أن هلك، فبلغ ذلك عمر وهو في سوق المدينة، فقال: يا لبيكاه! وبعث إلى أمير ذلك الجيش فنزعه وقال: لو لا أن تكون سنة لأقدت منك، لا تعمل لي على عمل أبدا.[1]

ونرى في هذه الرواية الأمر الذي خاف منه عمر، فإنّ غابت الرحمة من قلب الوالي أو القائد فإنه سيقود المسلمين إلى هلاكهم دون شعور بالذنب والشفقة اتجاه رعيتهم، وكان يحرص على زيارتهم للمريض ومساندة الضعيف.

وخطب عمر ولاته فقال: « إن لكم معشر الولاة حق على الرعية ولهم مثل ذلك فإنه ليس من حلم أحب إلى الله ولا أعمّ نفعا من حلم إمام ورفقه، وإنه ليس جهل أبغض إلى الله ولا أعمّ ضررا من جهل إمام وفرقه وإنه من يطلب العافية فيمن بين ظهر ابنه ينزل الله عليه العافية من فوقه».[2]

قال أبو يوسف: حدثنا الأعمش عن إبراهيم قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا بلغه أنّ عامله لا يعود المريض ولا يدخل عليه الضعيف نزعه.[3]

وروي عن الأسود بن أبي يزيد قال: كان الوفد إذا قدموا على عمرا سألهم عن أميرهم فيقولون خيرا، فيقول: هل يعود مرضاكم؟ فيقولون: نعم، فيقول هل

[1]- حمدي شاهين: الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، ص 134.
[2]- ابن الجوزي: تاريخ عمر بن الخطاب، ص 108.
[3]- أبو يوسف: كتاب الخراج، بيروت: دار المعرفة، د.ط، د.ت، ص 117.

يعود العبد؟ فيقولون: نعم! فيقول: كيف صنيعه بالضعيف؟ هل يجلس على بابه؟ فإن قالوا لخصلة منها: لا، عزله.[1]

5. منع العمال من مزاولة التجارة:

كان عمر يمنع ولايته وعماله من التجارة بمال المسلمين، ويبعدهم عن العمل بها ولو بمالهم الخاص ،بغية تفرّغهم لمهامهم التي وكلهم بها فلا يلتهون بعملهم الجديد ويتركون أمور ولايتهم معلقة، "روي أنّ عاملا لعمر بن الخطاب اسمه الحارث بن كعب بن وهب، ظهر عليه الثراء، فسأله عمر عن مصدر ثرائه فأجاب: خرجت بنفقة معي فتاجرت بها، فقال عمر: « أو والله ما بعثناكم لتتجروا وأخذ منه ما حصل عليه من ربح».[2]

وجاء أبو هريرة عامل عمر على البحرين بعشرين ألفا، فسأله عمر: من أين أصبتها؟ قال: كنت أتجر، فقال عمر: « أنظر إلى رأي مالك ورزقك فخذه، واجعل الأخر في بيت المال»، وليس في ذلك منع لحرية الإنسان في التجارة والكسب، بل هو الحرص على ألا يستفيد من منصبه فيضغط على رعيته ليكسب من ورائهم، أو يجاملوه بالتجارة معه وتوفير الأرباح له ليفيدوهم من ذلك بفعل موقعه كأمير، ممّا يفتح بابا للفساد.[3]

6. اختبار الولاة قبل التولية:

كان عمر يختبر عماله قبل أو يوليهم، ليعرف إن كان ما علمه عنه صحيحا أو إن كان ظنه به في محله، وقد يطول هذا الاختبار كما يوضحه الأحنف بن قيس حين قال: قدمت على عمر بن الخطاب فاحتبسني عنده حولا، فقال: يا

[1]- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ص 371.
[2]- علي الصلابي: فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب، ص 381.
[3]- حمدي شاهين: الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، ص 136.

أحنف إني قد بلوتك وخبرتك فرأيت علانيتك حسنة وأنا أرجو أن تكون سريرتك على مثل علانيتك، وإن كنا لنتحدث إنما يهلك هذه الأمة كل منافق عليم. ثم قال له: تدري لم حبستك، إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خوفنا كل منافق عليم اللسان ولست منهم.[1]

ومن نصائح عمر للأحنف: يا أحنف، من كثر ضحكه قلّت هيبته، ومن مزح استخف به، ومن أكثر من شيء عرف به، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قلّ حياؤه، ومن قلّ حياؤه قلّ ورعه، ومن قلّ ورعه مات قلبه.[2]

7. عهده على ولاته:

كان عمر رضي الله عنه إذا اختار ولاة ألزمهم عهد التعيين الذي يتضمن شروطا على الوالي تطبيقها والعمل بها خلال ولايته، " وعن عمارة بن خزيمة بن ثابت قال: كان عمر بن الخطاب إذا استعمل عاملا كتب عليه كتابا وأشهد عليه رهطا من الأنصار أن لا يركب برذونا، ولا يأكل نقيا، ولا يلبس رقيقا، ولا يغلق بابه دون حاجات المسلمين، ثم يقول: اللهم أشهد".[3]

ولعله منهم من ركوب البرذون لأنّ هذه الدابة لها صفات خلقية تبعث على الخيلاء والكبر التي خشيها عمر على نفسه فكيف على ولاته، وذلك خشية عليهم من الوصول إلى الخيلاء والكبر التي قد تصبح صفة خلقية للوالي، ومنهم من لبس الرقيق من الثياب لأنه يدل على الإسراف والتميز على الناس، وإذا حصل ذلك فإنه يؤدي إلى تعالي الحكام على غيرهم وحقد الرعية عليهم، ومنعهم أيضا

[1]- ابن الجوزي: تاريخ عمر بن الخطاب، ص 110.
[2]- علي الصلابي: فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب، ص 383.
[3]- ابن الجوزي: تاريخ عمر بن الخطاب، ص 108.

من أكل النقي من الدقيق، وذلك لحرص عمر على مساواة الحكام بالمحكومين في المأكل والمشرب.[1]

ومنعهم من إغلاق أبوابهم وصد المسلمين عن الوصول علن واليهم لقضاء حاجاتهم، وعدم اتخاذ حاجب يكون واسطة بين الوالي والرعية فيشعر الناس بعدم رغبته في رؤيتهم وتكبره عليهم مما يؤدي بهم إلى التخلي عن حاجاتهم وحقهم.

من ذلك ما وصله عن أنّ عامله على الكوفة سعد بن أبي وقاص اتخذ دارا بها كانت الأسواق قريبة منها فتمنعه أصوات أهلها من الراحة والعمل، فاتخذ لبيته بابا يحجز عنه أصوات الناس، فبلغ عمر أنّ الناس يسمّون البيت قصر سعد وأنه اتخذ له بابا فحجبه عن حاجات الناس، فأرسل عمر محمد بن مسلمة الأنصاري إلى الكوفة وأمره أن يعمد إلى قصر سعد فيحرق بابه ثم يرجع إلى المدينة، ففعل.[2]

فعلى الرّغم من أنّ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قد اتخذ بابا بغرض الراحة من أجل العمل، إلا أنّ عمر رضي الله عنه كان حريصا على رعيته من أن يمنعهم هذا الحاجز عن الوصول إلى واليهم لقضاء غرضهم، فحرقه ليحس الناس بقربهم من الوالي.

"وكان عمر يضرب الأسوة بنفسه، فكان لا يتخذ بابا ولا حجابا، يصلي الصلاة ثم يقعد للناس يكلمه من شاء".[3]

[1]- محمد سهيل طقوش: تاريخ الخلفاء الراشدين، ص 335.
[2]- حمدي شاهين: الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، ص 137.
[3]- المرجع نفسه، ص 137.

8. أن لا يكون الوالي نصرانيا:

عن عياض الأشعري قال: قدم على عمر فتح من الشام، فقال لأبي موسى: ادع كاتبك يقرأه على الناس في المسجد. قال أبو موسى: إنه لا يدخل المسجد. قال عمر: لم؟ أجنب هو؟ قال: لا ولكنه نصراني، فانتهره عمر وقال: لا تدنوهم وقد أقصاهم الله، ولا تكرموهم وقد أهانهم الله، ولا تأمنوهم وقد خونهم الله، وقد نهيتكم عن استعمال أهل الكتاب، فإنهم يستحلون الرشوة.[1]

فقد كان عمر يمنع تولية النصارى لأنّ مبادئهم غير مبادئ الإسلام التي تقوم على أساسها الدولة الإسلامية، ومنع أيضا الولاة من تشغيلهم على أمورهم ممّا يؤدي إلى إدخالهم وإحلالهم لمبادئ معارضة للدين الإسلامي.

وعن أبي هلال عن أشق قال: كنت عبدا نصرانيا لعمر. فقال: أسلم حتى نستعين بك على بعض أمور المسلمين لأنه لا ينبغي لنا أن نستعين على أمورهم بمن ليس منهم فأبيت فأعتقني. فقال: اذهب حيث شئت.[2]

9. لا يعطي الولاية من يطلبها:

أي ألا يكون الوالي راغبا في هذا المنصب طمعا بما فيه من مكانة، بل كان يعطيه لمن يقدّر عظم هذه المسؤولية ويستشعر منه خوفه من الله، لأنه سيحاسب عن أداء حقها. "فقد أثر عن عمر أنه أراد تولية رجل على ولاية، فجاء الرجل يطلبها، فتوقف عمر عن ذلك ولم يوله، مقتديا بالنبي صلى الله عليه وسلم، فإنه كان لا يولي على أمر من يطلبه ولو كان قادرا، فطالب الولاية لا يولّى".[3]

---

[1]- علي الصلابي: فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب، ص 384.
[2]- ابن الجوزي: تاريخ عمر بن الخطاب، ص 110.
[3]- محمد سهيل طقوش: تاريخ الخلفاء الراشدين، ص 334.

10. عدم قبول الوالي للهدايا:

كان عمر يمنع عماله من قبول الهدايا من أصحابها، حتى لا يضطر ولاته إلى تلبية حاجة صاحب الهدية كمجاملة لهم أو كرد جميل لهديتهم، فقد يجبرهم قبولها على إعطاء أصحابها مالا يستحقون، فيدخلهم هذا في الغش أو الرشوة كما اعتبره عمر رضي الله عنه "ويحكى في ذلك خبر طريف حدث مع عمر نفسه! فقد كان رجل يهدي إلى عمر فخذ جزور، وتكرر ذلك من الرجل، إلى أن جاءه ذات يوم برجل آخر يخاصمه، فقال الذي يهدي إلى عمر: يا أمير المؤمنين، اقض بيننا قضاء فصلا كما يفصل الفخذ عن سائر الجزور، يقول عمر: فما زال يكررها حتى خفت على نفسي، فقضى عمر لخصمه لما استبان له الحق عليه، وكتب إلى عماله: « أما بعد، فإياكم والهدايا فإنها من الرشا»".[1]

11. جعل الوالي من القوم:

كان عمر يشترط في اختياره في كثير من الأحيان أن يكون الوالي من القوم الذين سيوليهم عليهم، لدرايته بهم وبطبائعهم فلا يختلف معهم ويطمئنون له، وربما ليكون رفيقا بهم ويستحيي أن يردهم عن قضاء حقهم وحاجتهم في أيّ وقت طلبوه، "ومن ذلك توليته "جابر بن عبد الله البجلي" على قومه بجبلة، حينما وجههم إلى العراق، وكذلك توليته "سليمان الفارسي" على المدائن، وتوليته "نافع بن الحارث" على مكة، و"عثمان بن أبي العاص" على الطائف، ولعله كان يرمي من وراء ذلك إلى أهداف معينة يستطيع تحقيقها ذلك الشخص أكثر من غيره".[2]

[1]- حمدي شاهين: الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، ص 137-138.
[2]- علي الصلابي: فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب، ص 383.

12. مقام العلم في التولية:

وقد جرى عمر الفاروق على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في تولية أمراء الجيوش خاصة. قال الطبري: إنّ أمير المؤمنين، كان إذا اجتمع إليه جيش من أهل الإيمان، أمّر عليهم رجلا من أهل الفقه والعلم.[1]

13. أن لا يكون الوالي من آل النبي ولا من أكابر الصحابة:

وذلك لأنّ رسول الله كان لا يوليهم شيئا من ذلك، لأنه لا يريد أن يدنّسهم بالعمل، فقد يرتكبون أخطاء لا يمكن السكوت عليها فيقع الخليفة في الحرج من واقع إنزال العقاب المناسب بهم، وذلك لا يريده، أمّا التجاوز عن تجاوزاتهم وأخطائهم فهو أشدّ على عمر لذلك لم يولّ عثمان بن عفان أو عليا بن أبي طالب أو عبد الرحمن بن عوف أو العباس بن عبد المطلب وغيرهم.[2]

ب- <u>مراقبة عمل الولاة ومتابعتهم:</u>

كان عمر يقوم بمتابعة عمل ولاته ليتأكد من حسن تصرفهم وأداء ما أمرهم به، فلم يكن يولي الوالي ثم يتركه لمعرفته به بل كان يضع جهازه السري الخاص لمراقبتهم، فإن صدر منهم فعل غير مرغوب فيه عزلهم، إذ كان يقول: "« خير لي أن أعزل كل يوم واليا من أن أبقي ظالما ساعة نهار»"[3]، وكانت وسائله في متابعة ولاته ومراقبتهم متعددة منها:

---

[1]- المرجع السابق، ص 379.
[2]- محمد سهيل طقوش: تاريخ الخلفاء الراشدين، ص 334.
[3]- علي الصلابي: فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب، ص 402.

1. رسائل البريد:

كان عمر رضي الله عنه يرسل البريد إلى الولاة في الأمصار فقد كان يأمر عامل البريد عندما يريد العودة إلى المدينة أي ينادي في الناس من الذي يريد إرسال رسالة إلى أمير المؤمنين؟ حتى يحملها إليه دون تدخل من والي البلد، وكان صاحب البريد نفسه لا يعلم شيئا من هذه الرسائل، وبالتالي يكون المجال مفتوحا أمام الناس لرفع أيّ شكوى أو مظلمة على عمر نفسه دون أن يعلم الوالي أو رجاله بذلك، وحينما يصل حامل الرسائل على عمر ينثر ما معه من صحف ويقرأها عمر ويرى ما فيها.[1]

ومن خلال هذا نرى أنّ عمر كان على اتصال مباشر برعيته لا يحتاج على الوالي كي يعرف أحوال المسلمين، فكانت الرسائل وسيلة ليطمئن بها الخليفة على رعيته، وأداة لمراقبة الوالي إن قصر في عمله أو ظلم رعيته فكان الناس يحصلون على حقهم وينتصفون بعمر الخليفة الذي جعل رعيته قريبة منه على الرّغم من بعد المسافات بينهم فقصرت الرسالة المسافة بينه وبينهم.

2. تعيين مراقب على عمل الولاة:

اختار عمر رجلا من خيرة رجاله تقوى وقوة وأمانة وسنا وتجربة هو "محمد بن مسلمة الأنصاري" ليكون مراقبه الخاص على العمال وأعمالهم والنظر في الشكاوي المرفوعة لهم، وهذا ما يؤكده "أبو يوسف" في قوله: "فدعا محمد ابن مسلمة وكان رسوله إلى العمال فبعثه وقال: ائتني به على الحال التي تجده عليها. قال فأتاه فوجد على بابه حاجبا، فدخل فإذا عليه قميص رقيق، قال:

[1]- المرجع السابق، ص 403.

أجب أمر المؤمنين فقال: دعني أطرح علي قبائي، فقال: لا، إلا على حالك هذه، قال: فقدم به عليه".[1]

وكان هذا أمرا فعالا في مراقبة الولاة فكان مسلمة الأنصاري يأتيهم على غفلة ليختبر عملهم وكان بمثابة عين لعمر على ولاته.

فكان موقع محمد بن مسلمة كالمفتش العام في دولة الخلافة، فكان يتحرى دقائق الأمور، ومحاسبة الولاة المقصرين، فقد أرسله لمراقبة ومحاسبة كبار الولاة، وكان مع محمد بن مسلمة أعوان.[2]

3. جولة تفتيشية على الأقاليم:

كان تفكير عمر قبل مقتله أن يجول على الولايات شخصيا لمراقبة العمال وتفقد أحوال الرعية، قال عمر: « ولئن عشت إن شاء الله لأسيرن في الرعية حولا، وإني أعلم أنّ للناس حوائج تقطع عني آمالهم فلا يصلون إليّ، وأمّا عمالهم فلا يرفعونها إليّ، فأسير على الشام فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى مصر فأقيم بها شهرين، ثم أسير على البحرين فأقيم بها شهرين، ثم أسير على الكوفة فأقيم بها شهرين، ثم أسير على البصرة فأقيم بها شهرين».[3]

فقد كان عمر يريد أن يتولى أمر مراقبة ولاته بنفسه والذهاب إلى رعيته ليسألهم مباشرة عن أحوالهم ليطمئن عليهم خشية أن يكونوا قد ظلموا ولكنهم لا يستطيعون الوصول إلى خليفتهم أو إرسال شكواهم إليه لأنّ حرصه كان شديدا على راحة رعيته ورضاهم عنهم لأنه يعتبر نفسه مسؤولا أمام الله عنهم حتى وإن لم يكن هو صاحب المظلمة ولكنه يرى نفسه ظالما إذا لم يغير المظلمة.

---

[1]- أبو يوسف: كتاب الخراج، ص 116.
[2]- علي الصلابي: فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب، ص 403-404.
[3]- ابن الجوزي: تاريخ عمر بن الخطاب، ص 114.

وقد طبق عمر شيئا من هذا خصوصا في ولاية الشام حيث سار إليها عدة مرات وتفقد أحوالها عن كثب فقد دخل دار أبي عبيدة وشاهد حالته وتقشفه ودار بينه وبين امرأة أبي عبيدة حوار شديد ألقت فيه اللوم على عمر نتيجة ما يعيشون فيه من تقشف، كما زار خالد بن الوليد ولم يجد عنده شيئا يلفت النظر سوى أسلحته التي كان منشغلا بإصلاحها، وقد كان عمر أثناء دخوله على هؤلاء يدخل فجأة إذ يصحبه رجل فيطرق الباب على الوالي فيتكلم الرجل ويطلب الإذن بالدخول له ولمن معه دون أن يعلموا أنه عمر وحينما يدخل عمر إلى الدار يقوم بالتمحيص فيها والإطلاع على ما فيها من أثاث، وقد سمع عمر رضي الله عنه أنّ يزيد بن أبي سفيان ينوّع في طعامه، فانتظر حتى إذا حان وقت عشاء يزيد استأذن عليه عمر، فلما رأى طعامه نهاه عن الإسراف في الطعام.[1]

4. طلب الوفود من الولاة:

كان عمر رضي الله عنه يطلب من الولاة أن يرسلوا وفودا من أهل البلاد ليسألهم عن بلادهم، وعن الخراج المفروض عليهم ليتأكد بذلك من عدم ظلمهم، ويطلب شهادتهم فكان يخرج إليه مع خراج الكوفة عشرة من أهلها، ومع خراج البصرة مثلهم، فإذا حضروا أمامه شهدوا بالله أنه مال طيب، ما فيه ظلم مسلم ولا معاهد، وكان هذا الإجراء كفيلا لمنع الولاة من ظلم الناس ، و لو حدث هذا لرفعه هؤلاء الموفودون إلى أمير المؤمنين وأخبروه به، كما أنّ عمر في الغالب كان يقوم بمناقشة هؤلاء الموفودين وسؤالهم عن بلادهم وعن ولاتهم وسلوكهم معهم.[2]

---

[1]- علي الصلابي: فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب، ص 405.
[2]- المرجع نفسه، ص 403.

وعليه لم يكن هناك مجال أمام الولاة للخطأ والخروج عن طاعة أمير المؤمنين وأوامره، بل كان يعلم بكل صغيرة وكبيرة فإن لم تصله بالمراقب أو رسائل الشكوى استقدم وفودا من تلك المدينة لينظر إلى تصرفات واليها واستفسر منهم عن تعاملاته معهم.

ج- محاسبة عمر لوّلاته ومعاقبتهم:

إنّ من تمام عدله رضي الله عنه وخوفه من الله عزّ وجل جعل نصب عينيه محاسبة الولاة الذين عينهم بنفسه وذلك ليستقيم حالهم مع رعيتهم فلا يعتدون على غيرهم ولا يظلمون ولا يتطاولون وهي السمة التي ماتت وتلاشت ممّا جعل الولاة والأمراء وأصحاب المناصب بعد هذا الزمن الذهبي يظلمون ويعتدون ويسرقون ولا يجدون من يحاسبهم فتهدر أموال الدولة وتنتهك الحرمات وتضيع الأمانات، وقد تعدّدت طرق عمر في محاسبة عماله واختلفت منها:

1. محاسبتهم في موسم الحج:

كان موسم الحج فرصة لعمر ليستقصي أخبار رعيته وولاته الشكايات ، وكان عمر يلخص فيه واجبات عماله أمام الرعية ثم يقول: فمن فعل به غير ذلك فليقم، فما قام من أهل الموسم إلا رجل واحد مما يدل على عدالة هؤلاء العمال ورضا الرعية عنهم، فقال ذلك الرجل: إنّ عاملك فلانا ضربني مائة سوط، فسأل عمر العامل فلم يجد عنده جوابا، فقال للرجل: قم فاقتص منه، فقام عمرو بن العاص فقال عمرو: فدعنا فلنرضه، فقال: دونكم أرضوه، فافتدى العامل من الرجل بمائتي دينار، كل سوط بدينارين.[1]

[1]- حمدي شاهين: الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، ص 138-139.

2. التأديب بالضرب:

كان عمر حازما في محاسبة عماله، وبلغت شدة حزمه أن يضرب عماله تقويما لسلوكاتهم وردعا لهم فلم يتردد في ضربهم بالدّرة التي عرف بها إن لزم الأمر ذلك. "ففي أثناء زيارة عمر إلى الشام دخل بعض ولاته فوجد عندهم بعض المتاع الزائد، فغضب عمر وأخذ يضربهم بالدّرة، وفي أثناء زيارة عمر إلى الشام لقيه الأمراء، فكان أول من لقيه يزيد بن أبي سفيان، وأبا عبيدة، ثم خالد على الخيول، عليهم ثياب فاخرة لا تليق بالمجاهدين فنزل وأخذ الحجارة ورماهم بها وقال: ما أسرع ما رجعتم من رأيكم، إياي تستقبلون في هذا الزيّ، وإنما شبعتم من سنتين وبالله ولو فعلتم هذا على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم، فقالوا يا أمير المؤمنين إنها يلاقة وإنّ علينا السلاح، قال فنعم إذن".[1]

3. خفض الرتبة من والي إلى راعي غنم:

وقد استعملها عمر بن الخطاب مع أحد عماله، إذ وصلت شكاية عليه من رجل، فكان ينزل رتبهم ليحسوا بقيمة ما كانوا فيه ولكنهم لم يقدروه وتركوا واجباتهم، "فأرسل عمر رجلين، ثم قال: سلا عنه فإن كان كذب عليه فأعلماني، وإن كان صدق فلا تملكا من أمره شيئا حتى تأتياني به، فسألا عنه فوجداه قد صدق عليه فاستأذنا ببابه فقال: إنه ليس عليه إذن، فقالا: ليخرجن إلينا أو لنحرقنّ بابه وجاء إحداهما بشعلة من نار فلما رأى ذلك آذنه أخبره فخرج إليهما، فقالا: إنا رسولا عمر لتأتيه، فقال: إنّ لنا حاجة نتزود، قالا: ما أنت بالذي تأتي أهلك، فاحتملاه فأتيا به عمر فسلم عليه، فقال: من أنت ويلك؟ قال: عاملك على مصر، فقال: استعملتك وشرطت عليك شروطا، فتركت ما أمرت

[1]- علي الصلابي: فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب، ص 415.

به، وانتهكت ما نهيتك عنه، أما والله لأعاقبنك عقوبة أبلغ إليك فيها، ائتوني بدراعة من كساء وعصا وثلاثمائة شاة من شياه الصدقة، فقال: البس هذه الدراعة فقد رأيت أباك وهذه خير من دراعته، وهذه خير من عصاه، اذهب بهذه الشاة فارعها في مكان كذا وكذا وذلك في يوم صائف ولا تمنع السابلة من ألبانها شيئا واعلم أنّ آل عمر لم تصب من شياه الصدقة ومن ألبانها ولحومها شيئا. ثم قال له : أفهمت ما قلت لك؟ وردد عليه الكلام ثلاث فلما كان في الثالثة ضرب بنفسه الأرض بين يديه وقال: ما أستطيع ذلك فإن شئت فاضرب عنقي، قال: فإن رددتك فأي رجل تكون، قال: لا ترى إلا ما تحب، فرده فكان خير عامل.[1]

فكان عمر بهذا العقاب يرهبهم بأن ينزل مقامهم من والي إلى راعي غنم ليذكرهم بما كانوا يعيشونه من خلال المنصب الذي خوّله لهم وتركوا، ويذكرهم بما سيؤولون إليه إن خالفوا أمير المؤمنين وظلموا الرعية وآذوا المؤمنين برتبتهم.

4. التوبيخ الشفوي والكتابي:

وقد قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمعاقبة الأمراء، على تصرفاتهم أثناء اجتماعهم به، حيث إنه عاقب عمرو بن العاص مرات، كما عاقب عياض بن غنم، وخالد بن الوليد وأبا موسى الأشعري وغيرهم من الأمراء. وأمّا المعاتبة الكتابية في خلافة عمر فهي كثيرة منها: أنه كتب إلى أحد الولاة، وكان

[1]- ابن الجوزي: تاريخ عمر بن الخطاب، ص 113.

قد قدم عليه قوم فأعطى العرب وترك الموالي: « أما بعد، فبحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم والسلام».[1]

5. إتلاف شيء من مساكن الولاة:

كان عمر يقوم بإحراق الأبواب والستائر وإتلاف الأشياء التي تحول دون وصول الرعية إلى واليها وتجبرهم على طلب الإذن، وكأنّ الوالي لم يولّ لخدمة الرعية، فكان عمر يتلفها لأنه بعثهم لخدمة المسلمين ولم يمنحهم المناصب ليتمتعوا بها ويتخلوا عن مشاقها، فقد بلغت درجة تقواه وعظم المسؤولية عنده أن يحرق أبواب ولاته ويتلف بعضا من مساكنهم ولو كانوا من كبار الصحابة ،كما رأينا مع سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، ولكننا سرعان ما رأينا الحجابة ظهرت كنظام في العهدين الأموي والعباسي لتمنع الرعية من الوصول إلى الخلفاء، "فقد روى ابن شبة: أنّ عمر استعمل مجاشع بن مسعود على عمل فبلغه أنّ امرأته تجدد بيوتها فكتب إليه عمر: من عبد الله أمير المؤمنين إلى مجاشع بن مسعود، سلام عليك أما بعد، فقد بلغني أنّ الخضيرات تحدث بيوتها، فإذا أتاك كتابي هذا فعزمت عليك ألا تضعه من يدك حتى تهتك ستورها، قال: فأتاه بشيء يكرهه، فأمسك الكتاب بيده ثم قال للقوم: انهضوا، فنهضوا والله ما يدرون إلى ما ينهضهم، فانطلق بهم حتى أتى باب داره فدخل فلقيته امرأته فعرفت الشر في وجهه فقالت له: ما لك؟ فقال إليك عني قد أرمقتني، فذهبت المرأة، وقال القوم: أدخلوا، فدخل القوم، فقال: فليأخذ كل رجل منكم ما يليه من هذا النحو واهتكوا، قال فهتكوا جميعا حتى ألقوها إلى الأرض والكتاب في يده لم يضعه بعد. وفي أثناء زيارة عمر إلى الشام دعاه يزيد بن

[1]- علي الصلابي: فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب، ص 416-417.

أبي سفيان إلى الطعام فلما دخل عمر البيت وجد فيه بعض الستائر، فأخذ عمر يقطعها ويقول: ويحك أتلبس الحيطان ما لو ألبسته قوما من الناس لسترهم من الحر والبرد".[1]

وكان عقابه هذا منع للولاة من التبذير والإكثار من الزينة في المنازل، لأنّ كثيرا من الناس هم بحاجة إليها وإلى الأموال التي تضيع فيها من دون فائدة.

6. عزل الولاة بالشبهات والشكايات:

لجأ عمر في كثير من الأحيان إلى عزل الولاة بسبب شكوى بلغته أو شبهة صدرت في أحد الولاة ولو كان يعلم براءتهم، ولكنه كان يرضي الرعية حتى لا يحسّوا بثقل الوالي على قلوبهم وأنهم مجبرون على تحمّله، وهو بهذا حرص على راحة الوالي والرعية لأنّ كلا منهما سيكون راض عن الآخر مما يجنّب المسلمين الفتنة والفرقة، "فكان عمر يقول: « عان شيئا أصلح به قوما أن أبدلهم أميرا مكان أمير»".[2]

من ذلك أنه عزل سعد بن أبي وقاص عن إمارة الكوفة لغير شيء، إلا أنّ طائفة من أهل هذه المدينة ثاروا به وقالوا لعمر: إنه لا يقسم بالسوية ولا يعدل في الرعية ولا يغزو السرية. وقد بعث عمر محمد بن مسلمة إلى الكوفة، فرأى الناس جميعا راضين عن سعد مع ذلك عزله خوف الفتنة، لأنّ جيوش الفرس كانت تتجمع للغزو والثأر.[3]

فعلى الرّغم من بر سعد بن أبي وقاص وبراءته إلا أنّ أمير المؤمنين عزله خشية الفتنة لبعد نظره وحرصه على وحدة الدولة الإسلامية.

---

[1]- المرجع السابق، ص 414-415.
[2]- حمدي شاهين: الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، ص 141.
[3]- محمد حسين هيكل: الفاروق عمر، ص 201-202.

وقام عمر بعزل المغيرة بن شعبة عامله على البصرة لما اتهمه بعض جيرانه- وكانت بينه وبينهم ملاحاة وخصومة- أنه زنى بامرأة، فأرسل عمر يعزله ويستقدمه، و ولى بدله أبا موسى الأشعري سنة 17هـ، ولما تضاربت أقوال الشهود في مجلس التحقيق الذي مثل أمامه المغيرة ولم تكن على ما تقتضيه ضوابط الاتهام بالزنا في الإسلام، جلدهم عمر حدّ المفترى ثمانين جلدة، وأقرّ عزل المغيرة رغم عدم ثبوت التهمة عليه ولكنه عاد فوّلاه الكوفة لا البصرة التي شكاه بعض أهلها.[1]

7. عزل الوالي نتيجة وقوعه في الخطأ:

قام عمر بعزل الولاة نتيجة وقوعهم في أخطاء قد نهاهم عنها ولا تتوافق مع مبادئ الإسلام وأخلاق المسلم التي أمرنا الله بالاتصاف بها واتسم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، "فقد عزل رضي الله عنه أحد الأمراء نتيجة تدخله فيما لا يعنيه في شؤون أجناده حيث بعثه على جيش، فلما نزل بهم قال: عزمت عليكم لما أخبرتموني بكل ذنب أذنبتموه فجعلوا يعترفون بذنوبهم فبلغ ذلك عمر فقال: « ما له لا أمّ له، يعمد إلى ستر ستره الله فيهتكه؟ والله لا يعمل لي أبدا»، كما غضب عمر من أحد الولاة حينما بلغه بعض شعره وهو يتمثل فيها بالخمر فعزله".[2]

[1]- حمدي شاهين: الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، ص 141-142.
[2]- علي الصلابي: فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب، ص 414.

وفي ذلك يروى عن محمد ابن سعد قال: كان عمر بن الخطاب قد استعمل النعمان على ميسان، وكان يقول الشعر فقال:

ألا هل أتى للحسناء أنّ حليلهـــا ✱ بميسان يسقى في زجاج وختم

إذا شئت غنتني دهاقين قريـــــة ✱ ورقاصة تجشو على كل منسم

فإن كنت ندماني فبالأكبر أسقني ✱ ولا تسقني بالأصغر المتثلـــــم

لعلّ أمير المؤمنين يســـــــوءه ✱ تنادمنا في الجو سق المتهـــدم

فلما بلغ عمر قوله قال: نعم والله، إنه ليسوءني، من لقيه فليخبره أني قد عزلته.[1]

8. مقاسمة الولاة أموالهم:

وكان عمر يقاسم ولاته أموالهم إذا أحسّ بأنّ هذا المال يفوق أرزاقهم التي فرضها لهم وأنه يثير الشك حتى لا ينتهكوا مال غيرهم ويتربحوا بمال المسلمين ويستغلوا مناصبهم لزيادة أموالهم.

"وقد قام عمر رضي الله عنه بمشاطرة أموال عماله منهم: سعد بن أبي وقاص، وأبو هريرة وعمرو بن العاص رضي الله عنهم، وكان رضي الله عنه يكتب أموال عماله إذا ولاهم، ثم يقاسمهم ما زاد على ذلك، وربما أخذه منهم وقد قام أيضا بمشاطرة بعض أقارب الولاة لأموالهم، إذا ما رأى مبرّرا لذلك، فقد أخذ من أبي بكرة نصف ماله، فاعترض أبو بكرة قائلا: إني لم أل لك

[1]- ابن الجوزي: تاريخ عمر بن الخطاب، ص 108.

عاملا؟ فقال عمر: « ولكن أخاك على بيت المال وعشور الأبلة، فهو يقرضك المال تتجر به»".[1]

كما قيل إنّ أبا عبيدة كان يوسّع بالشام على عياله، فلما بلغ عمر ذلك نقصه من عطائه حتى شحب لونه وتغيرت ثيابه وساء حاله، فلما عرف عمر ما صار إليه أمره قال: « يرحم الله أبا عبيدة! ما أعفّ وأصبر»، وردّ عليه ما كان حبسه عنه.[2]

وكتب عمر مرة إلى عمرو بن العاص يقول: « أما بعد، فإنكم معشر العمال قعدتم على عيون الأموال، فجبيتم الحرام، وأكلتم الحرام، وأورثتم الحرام، وقد بعثت إليك محمد بن مسلمة الأنصاري ليقاسمك مالك، فأحضره مالك والسلام»، كذلك قاسم عمر جماعة من عماله أموالهم منهم: النعمان بن عدي، وذكروا أنّ سبب مقاسمة عمر بن الخطاب العمال قصيدة أرسلها الشاعر خالد بن الصعق إلى عمر جاء فيها:

أبلغ أميـــــر المؤمنين رسالـــــة ✱ فأنت ولي الله في المـــال والأمـــر

فلا تدعن أهل الرساتيق والجزي ✱ يسيغون مال الله في الأدم الوفـــــر

فأرسل إلى النعمان فاعلم حسابـــه ✱ وأرسل إلى جزء وأرسل إلى بشـــر

ولا تنسنين النـــــافعين كليهمـــــا ✱ وصهر بني غزوان عندك ذا وفـــــر

إذا التاجر الهندي جـــاء بفـــــارة ✱ من المسك راحت في مفارقهم تجري

نبيع إذا باعوا ونغـــزوا إذا غـــزوا ✱ فأتى لهم مـــال ولنـــــا بذي وفـــــر.[3]

---

[1]- علي الصلابي: فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب، ص 116.
[2]- محمد حسين هيكل: الفاروق عمر، ص 201.
[3]- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، ص 264.

2-تطوير النظام القضائي:

أسهم الخليفة عمر بن الخطاب في تطوير النظام القضائي بأن فصل القضاء عن السلطة السياسية فجعل بجانب الوالي قاضيا يقوم بحل النزاعات والنظر في القضايا، وكان هذا الإسهام من عمر يهدف إلى خلق نظام عادل يكون فيه القاضي متفرغا لعمله وبالتالي التخفيف من ضغط العمل على الولاة، وقام رضوان الله عليه بتخصيص راتب للقاضي حتى لا يشغله كسب قوته عن القضاء، ووضع تعاليم على القاضي العمل بها.

فقد قام بتطوير المؤسسة القضائية وما يتعلق بها من أمور، وأصبح في عهده مبدأ فصل القضاء عن غيره من السلطات واضحا في حياة الناس ولم يكن استقلال القضاء مانعا لعمر رضي الله عنه من أن يفصل في بعض القضايا وترك بعض ولاته يمارسون القضاء مع السلطة التنفيذية، ويراسلهم في الشؤون القضائية، فقد راسل المغيرة بن شعبة في أمر القضاء وكان واليه على البصرة ثم الكوفة، وراسل معاوية على الشام في النزاع القضائي، وراسل أبا موسى الأشعري في شأن بعض القضايا، وكان القاضي يعيّن للولاية كلها، سواء أكان تعيينه من قبل الخليفة أم كان من قبل الوالي بأمر الخليفة، وكان مقر القاضي حاضرة الولاية وإليه ترجع السلطة القضائية في ولايته.[1]

فعلى الرّغم من أنّ عمر فصل السلطة القضائية عنه وعن بعض الولاة إلا أنه لم يكن فصلا كليا بل كان يتتبع قضاته ويراقب قراراتهم ويراسلهم ليوجههم ويأمرهم بأن يمثلوا للآداب التي يوصيهم بها، وكان يقضي بنفسه في بعض القضايا، فكانت سلطة القاضي تابعة للخليفة يعينهم ويعزلهم بأمره.

[1]- علي الصلابي: فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب، ص 105-306.

وقد جمع لبعض ولاته بين الولاية والقضاء إذا كان القضاء لا يشغلهم عن شؤون الولاية، ومن القضاة الذين قصرهم الفاروق في خلافته على القضاء وحده:

- عبد الله بن مسعود: ولاه عمر الكوفة، فقد روى قتادة عن مجاز أنّ عمر بن الخطاب بعث عمار بن ياسر على صلاة أهل الكوفة، بعث عبد الله بن مسعود على بيت المال والقضاء.
- سلمان بن ربيعة: ولاه عمر القضاء على البصرة ثم القادسية.
- قيس بن أبي العاص القرشي: تولى قضاء مصر.

أما الذين جمعوا بين الولاية والقضاء فمنهم:

- نافع الخزاعي والي مكة، ذكر ابن عبد البر أنّ عمر بن الخطاب استعمله على مكة وفيهم سادة قريش، ثم عزله وولى خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي.
- يعلى بن أمية والي صنعاء.
- سفيان بن عبد الله الثقفي والي الطائف.
- المغيرة بن شعبة والي الكوفة.
- معاوية بن أبي سفيان والي الشام.
- عثمان بن أبي العاص الثقفي والي البحرين وعمان.
- أبو موسى الأشعري والي البصرة.
- عمير بن سعد والي حمص.[1]

[1]- المرجع السابق، ص 306.

ومن هؤلاء من أبقاه الفاروق على القضاء مع الولاية، كما فعل مع معاوية، ومنهم من فصل القضاء عن سلطته وقصره على الولاية كما فعل مع المغيرة، وأبا موسى الأشعري، ومن قضاة الفاروق بالمدينة:

- علي بن أبي طالب.
- زيد بن ثابت الأنصاري: فقد روى عن نافع: أنّ عمر استعمل زيد بن ثابت على القضاء وفرض له رزقا.
- السائب بن أبي يزيد.[1]

وكان هؤلاء القضاة يحكمون مستقلين برأيهم في حدود كتاب الله وسنة رسوله، فكانت توليتهم أول خطوة في تنظيم السلطات وفصل بعضها عن بعض، على أنها كانت خطوة أدّت إليها الحاجة وقضت بها ضرورات التطور في أحوال الدولة.[2]

أ. **أهم رسائل عمر إلى القضاة:**

أسهمت رسائل عمر إلى قضاته في تطور النظام القضائي في عهده، فقد حوت أسس القضاء ونصت على تعاليم استمدها باجتهاده من كتاب الله العزيز وسنة نبيّه، وبيّن للقاضي أهم الصفات التي ينبغي أن يتسم بها ليكون قاضيا في الإسلام، ووضع شروطا في إصدار الحكم، فكانت رسائله مرجعا أساسيا في النظام القضائي من بعده.

[1]- المرجع السابق، ص 307.
[2]- محمد حسين هيكل: الفاروق عمر، ص 203.

إذ لا تزال كتب عمر وأقواله تشهد بسعة علمه في القضاء وأصوله وأحكامه، وكتابه إلى أبي موسى الأشعري قطعة من أدب القضاة خالدة على الزمان.[1]

فقد سنّ عمر لهؤلاء القضاة دستورا يسيرون على هديه في الأحكام، ويعتبر هذا الكتاب أساس علم المرافعات في القضاء.[2]

قال الماوردي: وقد استوفى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عهده إلى أبي موسى الأشعري شروط القضاء وبين أحكام التقليد فقال فيه: « أما بعد، فإنّ القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة، فافهم إذا أدلي إليك، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له، وآس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك. البينة على من ادعى واليمين على من أنكرن والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما، أو حرم حلالا، ولا يمنعك قضاء قضيته أمس فراجعت اليوم فيه عقلك، وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق فإنّ الحق قديم، لا يبطله شيء ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل، الفهم فيما تلجلج في صدرك ما ليس في كتاب الله تعالى ولا سنة نبيه، ثم اعرف الأمثال والأشباه، وقس الأمور بنظائرها، واجعل لمن ادعى حقا غائبا أو بينة أمدا ينتهي إليه، فمن أحضر بينة أخذت له حقه وإلا استحلل القضية عليه، فإنّ ذلك أنفى للشك وأجلى للعمى، والمسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلودا في حدّ أو مجربا عليه شهادة زور أو ظنينا في ولاء أو نسب، فإنّ الله عفا عن الأيمان ودرأ بالبينات، وإياك والقلق والضجر

[1]- المرجع السابق، ص 204.
[2]- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ص 396.

والتأفف بالخصوم فإنّ الحق في مواطن الحق يعظم الله به الأجر ويحسن به الذكر، والسلام».[1]

نرى بأنّ هذه الرسالة قد لخصت وشملت كل ما يقتضيه النظام القضائي وما على القاضي الالتزام والسير عليه في إصدار أحكامه، فقد بيّنت المصدر الأساسي للقضاء وهي القرآن الكريم والحديث الشريف فإن لم يرد الحكم فيهما اجتهد القاضي بفهمه معتمدا على القضايا المشابهة التي ورد فيها النص، و أوضحت للقاضي ألا يقضي وهو في حالة قلق وضجر وأن لا يتأفف من كثرة الخصوم لأنّ إرجاع الحق لهم يرفع من الأجر عند الله ويزكو به صاحبه فيعرف بعدله وحسن قضائه، وأنّ المسلمين كلهم عدول إلا من أقيم عليه حدّ أو شهد بزور.

وقال **ابن قيم الجوزية** معلقا على هذه الرسالة: « وهذا كتاب جليل القدر تلقاه العلماء بالقبول، وبنو عليه أصول الحكم والشهادة والحكم».[2]

ولم يكن هذا الدستور هو كل ما ترك لنا الفاروق في القضاء، فقد كانت رسائله إلى ولاته وقضاته تتتابع، حرصا منه على إقامة العدل والمساواة بين الناس في الحكم، ونصرة المظلوم بإرجاع حقه، فلم يكن يدع مجالا لضياع حق أو ظلم ضعيف، بل عمل على نشر العدل في أرجاء الدولة الإسلامية بيده وبقضاته وبرسائله إليهم.

ومن الرسائل المهمة في هذا الباب رسالة الفاروق إلى أبي عبيدة رضي الله عنه: « أما بعد، فإني كتبت إليك بكتاب لم آلك ونفسي خيرا، ألزم خمس خصال يسلم لك دينك، وتأخذ بأفضل حظيك: إذا حضر الخصمان فعليك بالبينات

[1]- الماوردي: الأحكام السلطانية و الولايات الدينية،القاهرة :دار الحديث ، د.ط ،د. ت،56

[2]- حسين الحاج حسن: النظم الإسلامية، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات، ط1، 1406ه/1987م، ص 225.

العدول، والأيمان القاطعة، ثم أدن الضعيف حتى تبسط لسانه، ويجترئ قلبه، وتعهد الغريب فإنه إذا طال حبسه ترك حاجته وانصرف إلى أهله، وإنّ الذي أبطل لم يرفع به رأسا، واحرص على الصلح ما لم يستبن لك القضاء، والسلام».[1]

وكتب على القاضي شريح عن الاجتهاد: « إذا أتاك أمر فاقض فيه بما في كتاب الله، فإن أتاك ما ليس في كتاب الله فاقض بما سن فيه رسول الله، فإن أتاك ما ليس في كتاب الله ولم يسنه رسول الله ولم يتكلم فيه أحد فأيّ الأمرين شئت فخذ به. وفي رواية أخرى: فإن شئت أن تجتهد رأيك فتقدم، وإن شئت أن تتأخر فتأخر، وما أرى التأخر إلا خيرا لك».[2]

كان عمر يوجه قضاته إلى الاجتهاد إذا استصعبوا قضية ولم يرد فيها نص لا في الكتاب ولا السنة، فكان يشجعهم على ذلك بشرط عدم الإسراع في اتخاذ الحكم المناسب لأنّ تأجيل القرار قد يمدهم بحسن الرأي والفهم الدقيق للقضية.

وكتب الفاروق أيضا على عبد الله بن قيس رسالة بيّن فيها قواعد أساسية للقضاء يقول: «أما بعد، فإنّ للناس نفرة عن سلطانهم فأعوذ بالله أن تدركني، وإياك وعمياء مجهولة، وضغائن محمولة، أقم الحدود ولو ساعة من نهار، وإذا عرض لك أمران أحدهما لله والآخر للدنيا فآثر نصيبك من الله فإنّ الدنيا تنفذ والآخرة تبقى، وأخيفوا الفساق واجعلوهم يدا يدا، ورجلا رجلا، وعد مرضى المسلمين، واشهد جنائزهم وافتح لهم بابك وباشر أمورهم فإنما أنت رجل منهم غير أنّ الله جعلك أثقلهم حملا».[3]

---

[1]- علي الصلابي: فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب، ص 308.
[2]- المرجع نفسه، ص 309.
[3]- فتحية النبراوي: النظم والحضارة الإسلامية، القاهرة: دار الفكر العربي، ط9، 1999، ص 113.

كانت قواعد القضاء عند الفاروق تتابع في رسائله، وفي كل مرة يحدث قواعد أسمى في القضاء وأهم ما حملته هذه الرسالة هو أن لا تحول الخصومات والضغائن بين القاضي والخصوم، بل عليه أداء واجبه ورسالته وإلا فإنه سيكون ظالما للمشتكي ومستغلا لمنصبه كونه القاضي والمشتكي عدوه الذي يكّن له الكره، وأوصى القاضي بأن يفصل بين المتخاصمين إذا حضرا ويترك قضاء حاجاته الأخرى لأنّ إقامة الحق أسبق عند الله وأعظم أجرا في الآخرة وأمر القاضي بأن يكون صلبا قويا يخاف منه الفاسق في حين يكون لينا مع الضعفاء والمرضى يزورهم ويستقبلهم وينظر في مشكلاتهم، لأنّ القاضي رجل من الرعية غير أنّ مسؤوليته كبيرة، يؤدي الخطأ فيها إلى الظلم والفساد.

ب. <u>تعاليم عمر في نظام القضاء:</u>

وتتمثل في أهم التعاليم المستخلصة من خلال رسائله على قضاته ووصاياه لعماله:

1. الحكم بالكتاب والسنة ثم الاجتهاد بالفهم الدقيق:

أن يأخذ القاضي بما ورد في الكتاب أو السنة وتحري الحق على ضوئهما وذلك في القضايا التي فيها حكم ظاهر، أما القضايا التي ترد على القاضي وليس فيها حكم ظاهر في الكتاب أو السنة، فإنها تحتاج إلى فهم وعلم ونظر دقيق، ثم إنّ العمل في مثل هذه القضايا النظر في أشباهها من القضايا القريبة منها، فينظر القاضي ويحمل الجديد على اقرب وأشبه قضية بها، ولا يكون ذلك إلا بعد النظر الموصل إلى قناعته بأنّ ما توصل إليه أحب الطرق إلى الله فيما يعلم القاضي.[1]

[1]- محمد سهيل طقوش: تاريخ الخلفاء الراشدين، ص 349-350.

2. الاستشارة فيما أشكل على القاضي من أمور:

كان عمر يحضّ القضاة على الاستشارة للاستفادة من آراء الآخرين، فقد توضح له، شيئا أو إشكالا أبهم عنه وغاب عن باله، لأنّ الإسلام جعل الشورى في شتى الأمور ولم يقصرها على أمر واحد، فرأي الجماعة أفضل وأحسن من رأي الرجل الواحد، فالفاروق بنفسه كان يستشير في أمور خلافته كبار الصحابة وعامة الناس.

"فقد كتب عمر إلى أحد القضاة: « واستشر في دينك الذين يخشون الله عز وجل»، فكان عمر كثير الاستشارة حتى قال الشعبي: من سره أن يأخذ بالوثيقة من القضاء فليأخذ بقضاء عمر فإنه كان يستشير".[1]

كما أنّ عمر حدّد لقضاته أهل الشورى، أي أن يكون القاضي على علم بهم فيختارهم ممّن يخشون الله عز وجل ويخافونه، ومنهم أهل العلم.

3. تجنب كلّ ما من شأنه التأثير على القاضي:

كالرشوة، وتساهل التجار معه في البيع والشراء والهدايا ونحو ذلك، ولذلك منع عمر القضاة من العمل بالتجارة، والصفق بالأسواق، وقبول الهدايا والرشاوى، فكتب إلى أبي موسى الأشعري: « لا تبيعن ولا تبتاعن ولا تضاربن ولا ترتش في الحكم»، وقال شريح: شرط عليّ عمر حين ولاني القضاء ألا أبيع ولا أبتاع ولا أرشى.[2]

[1]- محمد روّاس قلعجي: موسوعة فقه عمر بن الخطاب، بيروت: دار النفائس، ط4، 1409هـ-1989م، ص 725.
[2]- علي الصلابي: فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب، ص 314.

منع عمر قضاته من البيع والشراء لأنّ التجار سيجاملونهم في التعامل معهم، مما قد يقود بعض القضاة إلى رد جميلهم وظلم غيرهم ممّا يؤدي إلى انتشار الفساد في المؤسسة القضائية.

4. تأجيل القضاء حتى تحضر البينة:

من ادعى حقا غائبا وكانت له بينة ولكنها غائبة فيؤجل وقتا كافيا لإحضار بينته ما لم يكن متهربا من الحق، وإذا أحضر البينة في حدود الأجل المضروب أعطي حقه لأنه قد اظهر حقه ببينته، وإن عجز المدعي عن إحضار البينة التي زعمها في الوقت المحدد له، فلا حق له في دعواه، هذا ما لم يكن قد حصل على عذر منعه من إحضار بينته، فإن اتبع القاضي هذه الطرق في سماع الدعوى والبينة، وأجّل ما يستحق التأجيل يكون قد أبلغ في العذر، وجلّى العمى في القضية، فلا يبقى إشكال ولا عذر للمعتذر.[1]

و عليه فإن عمر منح وقتا للمدّعى من أجل إحضار بينته إذا غابت عنه في وقتها، فكان يأمر القضاة بألا يتسرعوا كي لا يضيع الحق من المدعي.

5. الحرص على الصلح بين المتخاصمين:

قال عمر: « ردوا الخصوم حتى يصطلحوا، فإن فصل القضاء يورث الضغائن بين الناس، فإن عادوا بصلح يتفق مع شرع الله أمضاه القاضي وإن كان صلحهم لا يتفق مع أحكام الشريعة نقضه القاضي»، قال الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا، وعلى القاضي أن يحرص على الصلح خاصة بين المتخاصمين إذا لم يتبيّن له الحق، فقد كتب عمر إلى معاوية:

[1]- محمد سهيل طقوش: تاريخ الخلفاء الراشدين، ص 349.

«احرص على الصلح بين الناس ما لم يستبن لك القضاء، أو كانت بينهم قرابة، فإنّ فصل القضاء يورث الشنآن».[1]

وهذه كلها أقوال تحرص على وحدة المسلمين، لأنّ الفصل في النزاعات يؤدي إلى العداوة بين المتخاصمين فظهور الحق للمدعي عليه يولد الكره ضد المدّعى ممّا يؤدي إلى فرقة المسلمين، ولكن عمر جعل من تعاليم القضاء الصلح بين المتخاصمين وليس إقرار الحق لأحدهما فقط فأصبح من واجب القاضي الفصل في القضية والصلح بين المتخاصمين.

6. عدم الرجوع في القضاء:

إذا قضى القاضي في قضية، ونفذ الحكم فيها فلا رجوع فيما قضى فيه، وإذا قضى في قضية وجاءته بعدها قضية مماثلة فبان له أنه أخطأ في القضاء في الأولى، وبان له الحق، فإنه يقضي بما ظهر له، ولا يتابع الخطأ فيقضي كما قضى بالأمس.[2]

لأنّ الرجوع في حكم القضية الأولى وقد يحدث مشاكل وخلافات بين المتخاصمين، وقد تنقص من هيبة القاضي ومكانته ويعتبر الناس أنّ قضاءه غير عادل.

---

[1]- محمد روّاس قلعجي: موسوعة فقه عمر بن الخطاب، ص 729.

[2]- محمد سهيل طقوش: تاريخ الخلفاء الراشدين، ص 349.

7. تنفيذ الحكم:

فعلى القاضي أن ينفذ الحكم الذي يتبين له، ولا يتكلم به أو يصدره فقط، فلا نفع من التكلم بالحق دون إحقاقه بل يجب تطبيقه إذ يقول عمر: « وأنفذ إذا تبيّن لك، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له».[1]

8. تقرير البراءة للمتهم حتى تثبت إدانته:

كان عمر يقرر البراءة للمتهم حتى يحضر المدّعي الدليل على صدق كلامه إذ يقول: "« البينة على من ادّعى، واليمين على من أنكر»، وعن عبد الله بن عامر قال: انطلقت في ركب حتى إذا جئنا ذا المروة سرقت عيبة لي، ومعنا رجل منهم، فقال له أصحابي: يا فلان أردد عليه عيبته، فقال: ما أخذتها، فرجعت إلى عمر بن الخطاب فأخبرته، فقال: من أنتم؟ فعددتهم، فقال: أظنه صاحبها- للذي اتهم- فقلت: لقد أردت يا أمير المؤمنين أن آتي به مصفودا، قال عمر: أتأتي به مصفودا بغير بينة".[2]

9. الأخذ بالأدلة الظاهرة دون البحث عن النوايا:

من ذلك عن أبي قال: خطب عمر بن الخطاب فقال: « أيها الناس ألا إنما كنا نعرفكم إذ بين أظهرنا النبي صلى الله عليه وسلم وإذ ينزل الوحي وإذ ينبئنا الله من أخباركم، ألا وإنّ النبي صلى الله عليه وسلم قد انطلق وانقطع الوحي وإنما نعرفكم بما نقول لكم من أظهر منكم خيرا ظننا به خيرا وأحببناه عليه ومن أظهر لنا شرا ظننا به شرا وأبغضناه عليه، سرائركم بينكم وبين ربكم».[3]

---

[1]- علي الصلابي: فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب، ص 415.
[2]- محمد روّاس قلعجي: موسوعة فقه عمر بن الخطاب، ص 729.
[3]- ابن الجوزي: تاريخ عمر بن الخطاب، ص 89.

فعلى القاضي أن يحكم بين الناس بما يظهر منهم ويصدر عنهم وليس عليه النظر إلى نواياهم وسرائرهم، فقد يخطئ الظنّ بهم لأنّ النوايا لا يعلمها إلا الله عز وجل فيبقى ظنه احتمالا لا أساس له.

10. سعة الصدر:

لابدّ أن يبتعد القاضي عمّا يثير غضبه وقلقه وضجره أثناء القضاء، ولا ينبغي له أن يضيق بالناس وقت الخصومة، ويتنكر للخصوم عند ذلك، ثم إنّ الصبر على القضاء والعدل يكسبه الأجر وحسن الذكر.[1]

من ذلك قوله لأبي موسى الأشعري: « إياكم والضجر، والغضب والقلق والتأذي بالناس عند الخصومة»، فإذا رأى القاضي من نفسه شيئا من هذا، فلا يجوز له النطق بالحكم حتى يذهب عنه ذلك، لئلا يكون الدافع إلى الحكم حالة نفسية معينة، فقد كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري: « ولا تحكم وأنت غضبان».

وعن شريح، قال: شرط عليّ عمر حين ولاني القضاء أن لا أقضي وأنا غضبان، وممّا يؤدي إلى ضيق الصدر ويدفع أحيانا على الاستعجال المخل في البث في بعض القضايا الجوع والعطش ونحو ذلك، ولذلك قال عمر: « لا يقضي القاضي إلا وهو شبعان ريان».[2]

حرص عمر على بيان كل الأمور التي تؤدي إلى سعة الصدر لقضاته، ليكون حكمهم عادلا، وصادرا عن تفكير دقيق وليس عن قلق وغياب للعقل.

[1]- محمد سهيل طقوش: تاريخ الخلفاء الراشدين، ص 350.
[2]- محمد رواس قلعجي: موسوعة فقه عمر بن الخطاب، ص 726.

11. إخضاع القضاة أنفسهم لأحكام القضاء:

كان عمر رضي الله عنه أول من يخضع للقضاة وكان يثني على القاضي حتى ولو صدر الحكم ضده، "وهذا مثال على ذلك، فقد ساوم عمر أعرابيا على فرس، فركبه ليجربه، فعطب الفرس، فقال عمر: خذ فرسك، قال الرجل: لا، قال عمر: فاجعل بيني وبينك حكما، قال الرجل: شريح، فتحاكما إليه، فلما سمع قال: يا أمير المؤمنين خذ ما اشتريت، أورد كما أخذت، فقال عمر: وهل القضاء إلا هكذا؟ فبعثه إلى الكوفة قاضيا.[1]

12. فهم القضية فهما دقيقا:

ودراستها دراسة واعية قبل النطق بالحكم ولا يجوز له النطق بالحكم قبل أن يتبيّن له الحق، فكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري: « افهم إذا أدلى إليك»، وقال أبو موسى مرة: لا ينبغي لقاض أن يقضي حتى يتبيّن له الحق كما يتبيّن له الليل والنهار، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فقال: « صدق أبو موسى».[2]

13. تشجيع الضعيف وسرعة النظر في دعوى الغريب:

فقد كتب عمر إلى أبي عبيدة رضي الله عنه: « أدن الضعيف حتى تبسط لسانه ويجترئ قلبه»، وكتب له أيضا: « تعهد الغريب فإنه إذا طال حبسه- أي طالت إقامته وبعده عن أهله من أجل هذه الدعوى- ترك حاجته وانصرف إلى أهله».[3]

---

[1]- علي الصلابي: فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب، ص 316.
[2]- المرجع نفسه، ص 312.
[3]- محمد روّاس قلعجي: موسوعة فقه عمر بن الخطاب، ص 729.

14. المساواة بين المتخاصمين:

فعلى القاضي أن يسوي بين المتخاصمين ولا يميل لأحدهما لقرابة منه أو لمنصبه العالي في الدولة، لأن ميل القاضي لخصم دون الآخر قد يشعر الخصم الآخر بتحيّز القاضي ويشك في عدله بأنه سيظلمه، "لهذا كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري: « سوّ بين الناس في وجهك ومجلسك وعدلك، حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك»، وكتب أيضا: « اجعلوا الناس عندكم في الحق سواء قريبهم كبعيدهم، وبعيدهم كقريبهم»".[1]

وجعل من واجب القاضي وآدابه أن يسوّي بين الناس في مجلسه فيجالس الفقير كما يجالس الغني، ويعدل في حكمه بين القريب منه والبعيد عنه.

ج. تعيين عمر راتب للقاضي:

من الأمور التي لا يمكن للقاضي أن ينهض بعمله دونها الراتب المنتظم الذي يعينه وعيا له على استمرار الحياة، وأنّ النفقة عليه من بيت مال المسلمين تضمن استمرار مصلحته للأمة، وتفرغه لعمله، إذ لو تعاطى القاضي عملا ليؤمن رزقه ورزق عياله لما استطاع أن يقوم بواجب وظيفة القضاء، فلابدّ للقاضي إذن من التفرغ الكامل لوظيفته، ولا يتمّ ذلك إلا بتوسيع رزقه حتى يطمئن على نفسه وعلى عياله من الحاجة، قد فرض عمر رواتب لقضاته الذين فرّغهم للعمل في ميدان القضاء، نذكر منهم زيد بن ثابت، شريح الكندي، سلمان بن ربيعة الباهلي قاضي الكوفة وعبد الله بن مسعود.[2]

---

[1]- علي الصلابي: فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب، ص 313.
[2]- محمد سهيل طقوش: تاريخ الخلفاء الراشدين، ص 350.

وكان يولي الولاة باختيار الصالحين للقضاء، وبإعطائهم المرتبات التي تكفيهم فقد كتب إلى أبي عبيدة ومعاذ: أنظروا رجالا صالحين فاستعملوهم على القضاء وارزقوهم.[1]

فقد كان عمر أول من يعيّن راتب للقاضي في عهده لأنه أوّل من فصل القضاء عن الولاية، فجعل للقاضي مبلغا يكفيه ويغنيه عن العمل في مجال آخر، ليتفرغ لعمله ولا يشغله التفكير في تأمين عيشه.

د. صفات القاضي:

1) **العلم بالأحكام الشرعية:** لأنه سيطبقها على الحوادث والقضايا، ويستحيل عليه تطبيقها مع الجهل بها.
2) **التقوى:** فقد كتب عمر إلى معاذ بن جبل وأبي عبيدة بن الجراح، أن أنظرا رجالا من صالحي من قبلكم فاستعملاهم على القضاء.
3) **الترفع عمّا في أيدي الناس:** فقد قال عمر رضي الله عنه: « لا يقيم أمر الله إلا من لا يصانع، ولا يضارع، ولا يتبع المطامع».[2]
4) **الفطنة والذكاء:** ويشترط في القاضي أن يكون فطنا ذكيا ينتبه إلى دقائق الأمور.[3]
5) **الشدة في غير عنف واللين من غير ضعف:** قال عمر: « لا ينبغي أن يلي هذا الأمر إلا رجل فيه أربع خصال: اللين في غير ضعف، والشدة في غير عنف، والإمساك في غير بخل والسماحة في غير سرف»،

[1]- علي الصلابي: فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب، ص 310.
[2]- المرجع نفسه، ص 311.
[3]- محمد روّاس قلعجي: موسوعة فقه عمر بن الخطاب، ص 723.

وقال: « لا يقيم أمر الله إلا رجل يتكلم بلسانه كلمة لا ينقص عز به، ولا يطمع في الحق على حدّته».

6) **قوة الشخصية:** عن ابن سيرين قال: قال عمر بن الخطاب: « والله لأنزعن فلانا عن القضاء، ولاستعملن على القضاء رجلا إذا رآه الفاجر فرقه».[1]

7) **أن يكون ذال مال وحسب:** فقد كتب عمر إلى بعض عماله لا تستقضين إلا ذا مال وذا حسب، فإنّ ذا المال لا يرغب في أموال الناس، وإنّ ذا الحسب لا يخشى العواقب بين الناس.[2]

[1]- المصدر السابق، ص 724.
[2]- ابن الجوزي: تاريخ عمر بن الخطاب، ص 113.

3-تطوير عمر للنظام الإداري:

أسهم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تطوير النظام الإداري الإسلامي بإنشاء الديوان لضبط العطاء وأمور الجند، فجعل ديوان العطاء لتسجيل الناس بحسب أعطياتهم وكتابة نسبة العطاء وذلك بعد تدفق الأموال باتساع الفتوحات الإسلامية إذ دفعت كثرة الواردات بعمر إلى إنشاء الديوان لتسهيل عملية توزيع العطاء، كما أنشأ ديوان الجند الخاص بأسماء الجند وتقدير رواتبهم.

أ. مفهوم كلمة ديوان:

اختلف في أصل كلمة ديوان هل هي عربية أم فارسية، قال البعض ومنهم سيبويه إنها عربية ومعناها: الأصل الذي يرجع إليه. وقال آخرون ومنهم الأصمعي: بل هي فارسية معربة ومعناها سجل أو دفتر وأطلقت من باب المجاز على المكان الذي تحفظ فيه السجلات الرسمية.[1]

وهناك رواية حول سبب تسمية الديوان لدى الساسانيين بهذا الاسم وأظهرت أنّ هذا التعبير قد انتقل من الساسانيين إلى العرب حيث تقول: دخل كسرى أنو شروان ذات يوم على كتابه، وعندما رآهم يقومون بالعد والحساب مع بعضهم البعض، قال عنهم "ديوانه" أو "مجانين". ومع مرور الوقت، جرى إطلاق كلمة ديوانه على المكان الذي يعمل به الكتاب ثم سقط حرف "الهاء" من آخر الكلمة وتحولت إلى "ديوان".[2]

[1]- أنور الرفاعي: النظم الإسلامية، دمشق: دار الفكر، ط8، 1427هـ- 2006م، ص 81.
[2]- مصطفى فايدة: تأسيس عمر بن الخطاب للديوان، الرياض: مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية، ط1، 1418هـ-1997م، ص 67.

وجاءت كلمة "ديوان" بمعنى "دفتر الحساب" في حديث روي عن عائشة رضي الله عنها.

ومن جانب آخر، فالديوان تعبير استخدم لإظهار مكانة الشعر وأهميته في المجتمع العربي، وأطلق بعض المؤلفين على الشعر اسم "ديوان العرب" أو "ديوان علم العرب"، أي الذي يحوي كلّ معارف العرب وحافظ عليها، والذي يراجعونه دوما، ويستفيدون منه.[1]

ويعرفه الماوردي بقوله: « والديوان موضع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الأعمال والأموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال».[2]

واصطلاح الديوان شاع استخدامه في بلاد الإسلام منذ تأسيس عمر للديوان من أجل توزيع واردات الفيء، وأصبح في عهد الأمويين، والعباسيين بشكل خاص اسما يطلق على مؤسسات تتولى وظائف الدولة المختلفة، وعلى رأسها الأمور العسكرية والشؤون المالية.[3]

ب.سبب تأسيس عمر للديوان:

ذكرت المصادر سبب تأسيس عمر للديوان بروايات مختلفة منها:

قال أبو يوسف: "وحدثني غير واحد من علماء أهل المدينة، قالوا لما قدم على عمر ابن الخطاب رضي الله عنه جيش العراق من قبل سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه شاور أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في تدوين الدواوين".[4]

---

[1]- المرجع السابق، ص 68.
[2]- الماوردي: الأحكام السلطانية و الولايات الدينية، ص 158.
[3]- مصطفى فايدة: تأسيس عمر بن الخطاب للديوان، ص 68.
[4]- أبو يوسف: كتاب الخراج، ص 24.

قال الماوردي: "وأول من وضع الديوان في الإسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه واختلف الناس في سبب وضعه له، فقال قوم سببه أنّ أبا هريرة قدم عليه بمال من البحرين فقال له عمر: ماذا جئت به؟ فقال خمسمائة ألف درهم فاستكثره عمر فقال له: أتدري ما تقول؟ قال نعم مائة ألف خمس مرات، فقال عمر: أطيب هو؟ فقال: لا أدري، فصعد عمر المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس قد جاءنا مال كثير، فإن شئتم كلنا لكم كيلا وإن شئتم عددنا لكم عدّا، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين قد رأيت الأعاجم يدونون ديوانا لهم فدوّن أنت لنا ديوانا".[1]

وفي رواية ابن سعد أنّ علي بن أبي طالب قال: « تقسم كل سنة ما اجتمع إليك من المال، ولا تمسك منه شيئا»، وقال عثمان: « أرى مالا كثيرا يتبع الناس فإن لم يحصوا حتى يعرف من أخذ ممّن لم يأخذ خشيت أن ينتشر الأمر»، فقال الوليد ن هشام بن الصغيرة: « قد كنت بالشام فرأيت ملوكها قد دوّنوا ديوانا وجندوا جنودا، فدوّن ديوانا وجند جنودا»، فأخذ بقوله ثم أنه دعا عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم، وكانوا من قريش وأمرهم بكتابة الناس على منازلهم، فبدءوا ببني هاشم ثم أتبعوهم أبا بكر وقومه ثم عمر وقومه، وكتبوا القبائل ووضعوها على الخلافة، ثم رفعوا ذلك السجل إلى عمر فأنكر ذلك، وأمر أن يكون البدء بقرابة رسول الله الأقرب فالأقرب.[2]

قال أبو يوسف: "وحدثني عبد الله بن الوليد المدني عن موسى بن يزيد قال: حمل أبو موسى الأشعري إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ألف ألف، فقال عمر: بكم قدمت؟ فقال: بألف ألف، قال: فأعظم ذلك عمر، وقال: هل

[1]- الماوردي: الأحكام السلطانية و الولايات الدينية، ص 158.
[2]- حمدي شاهين: الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، ص 158.

تدري ما تقول، قال: نعم، قدمت بمائة ألف ومائة ألف حتى عدّ عشر مرات، فقال عمر: إن كنت صادقا ليأتين الراعي نصيبه من هذا المال وهو باليمن ودمه في وجهه".[1]

وقال آخرون: بل سببه أنّ الشخص الذي أوصى عمر بتأسيس الديوان، هو فير زان الفارسي، قال فير زان سائلا عمر- الذي كان يرسل أحد الجيوش- "لو فارق أحد الأفراد هذا الجيش ماذا تصنع له؟ وكيف يعلم قائدك أنه فارقهم؟"، فقال عمر: « وماذا توصيني؟»، فأوصى فير زان الخليفة بتشكيل الديوان، وأوضح له بعض الأمور المتعلقة بالديوان، وبناءا على ذلك أسس عمر الديوان.[2]

وقيل إنه عندما بدأت خزائن الأكاسرة في الورود إلى المدينة، لم يستطع عمر أن يعرف كيف سيصنع بها، ولا كيف سيحافظ عليها، وكان يوجد بالمدينة بعض مرازبة الفرس، ورأوا حيرة عمر إزاء هذه الثروات الواردة، فأخبروه بأنّ الأكاسرة قد ضبطوا واردات الدولة ومصروفاتها، وسجلوا أسماء من يحصلون على مرتبات، وكانت لهم دواوين لا تتطرق إليها الحيلة أو الخلل، وقد جذب الأمر اهتمام عمر، فأسس الديوان.[3]

فقد اختلفت الروايات حول سبب تأسيس عمر للديوان، فهناك رواية ترجعه لكثرة الأموال الواردة إلى الدولة، وأخرى تقول بأنه أسسه لتسهيل عملية توزيع العطاء وكتابة من أخذ ممّن لم يأخذ.

---

[1]- أبو يوسف: كتاب الخراج، ص 46.
[2]- مصطفى فايدة: تأسيس عمر بن الخطاب للديوان، ص 58.
[3]- المرجع نفسه، ص 60-61.

ج. تاريخ إنشاء الديوان:

قرر عمر بن الخطاب إنشاء الديوان عندما كثرت واردات الدولة الإسلامية، وقد ورد تاريخان في المصادر لإنشائه.

فقد حدّد الطبري سنة (15هـ/636م) كتاريخ لوضع الديوان على يد عمر، فقال: « وفي هذه السنة فرض عمر للمسلمين ودوّن الدواوين، وأعطى العطايا على السابقة».[1]

في حين حدّد البلاذري سنة (20هـ/641م) كتاريخ لإنشاء الديوان من قبل عمر، فقد ذكر: « لما أجمع عمر على تدوين الديوان وذلك في المحرم سنة 20هـ ».[2]

بينما يرجعه ابن الطقطقى لسنة 15 للهجرة فيقول: « وكان المسلمون هم الجند، وكان قتالهم لأجل الدين لا لأجل الدنيا لكنهم إذا غزوا وغنموا أخذوا نصيبا من الغنائم قررته الشريعة لهم، وإذا ورد إلى المدينة مال من بعض البلدان أحضر إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرق فيهم حسب ما يراه صلى الله عليه وسلم، وجرى مدى خلافة أبي بكر، فلما كانت سنة خمس عشرة للهجرة وهي خلافة عمر رأى أنّ الفتوح قد توالت، وأنّ كنوز الأكاسرة قد ملكت، وأنّ الأحمال من الذهب والفضة والجواهر النفيسة والثياب الفاخرة قد تتابعت، فرأى التوسيع على المسلمين وتفريق تلك الأموال فيهم، ولم يكن يعرف كيف يضبط ذلك».[3]

---

[1]- الطبري: تاريخ الطبري، تحقيق: أبو صهيب الكري، عمان: بيت الأفكار الدولية، د.ط، د.ت، ص 630.
[2]- محمد سهيل طقوش: تاريخ الخلفاء الراشدين، ص 338.
[3]- ابن الطقطقى: الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، بيروت: دار صادر، د.ط، د.ت، ص 83.

وتشير رواية الطبري التالية إلى أنّ عمر أنشأ الديوان سنة 15 للهجرة، قال أبو جعفر الطبري: «قالوا: فرض عمر العطاء حين فرض لأهل الفيء الذين أفاء الله عليهم، وعمّ أهل المدائن، فصاروا بعد إلى الكوفة، انتقلوا عن المدائن إلى الكوفة والبصرة ودمشق وحمص والأردن وفلسطين ومصر، وقال: الفيء لأهل هؤلاء الأمصار ولمن لحق بهم وأعانهم، وأقام معهم ولم يفرض لغيرهم، ألا فيهم سكنت المدائن والقرى، وعليهم جرى الصلح، وإليهم أدّى الجزاء، وبهم سدّت الفروج ودوّخ العدو. ثم كتب في إعطاء أهل العطاء أعطياتهم إعطاء واحدا سنة خمسة عشرة».[1]

د. أنواع الدواوين التي أنشأها عمر رضي الله عنه:

1. ديوان العطاء:

وهو ديوان أنشأه عمر لتسجيل عطاء كل فرد من المسلمين بحيث وضع الفاروق أسسا يسير عليها عمال الديوان في فرض نسبة العطاء لكل فرد.

ويربط البلاذري فرض العطاء باستقرار فتوح العراق والشام فيقول: « كما افتتح عمر العراق والشام وجبى الخراج جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إني قد رأيت أن أفرض العطاء لأهله، فقالوا: نعم رأيت الرأي يا أمير المؤمنين»، فكانت إحصاء الناس وتصنيفهم إلى فئات متعددة طبقا لقدمهم في الإسلام، وفضلهم في الفتوح، المحتوى الاجتماعي الأساسي لديوان عمر.[2]

ولما أراد الفاروق وضع ديوان العطاء قال للصحابة: « بمن أبدأ؟ فقال عبد الرحمن بن عوف: ابدأ بنفسك، فقال: لا والله، ولكن أبدا ببني هاشم رهط النبي

[1]- الطبري: تاريخ الطبري، ص 631.
[2]- محمد سهيل طقوش: تاريخ الخلفاء الراشدين، ص 340-341.

صلى الله عليه وسلم، فكتب من شهد بدرا من بني هاشم- من مولى أو عربي- لكل رجل منهم خمسة آلاف خمسة آلاف وفرض للعباس بن عبد المطلب اثني عشر ألفا ثم فرض لمن شهد بدرا من بني أمية بن عبد شمي ثم الأقرب فالأقرب إلى بني هاشم وفرض للبدريين أجمعين خمسة آلاف خمسة آلاف وفرض للأنصار أربعة آلاف أربعة آلاف فكان أول أنصاري فرض له محمد بن مسلمة وفرض لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف عشرة آلاف وفرض لعائشة رضي الله عنها اثني عشر ألفا، وفرض لمهاجرة الحبشة أربعة آلاف أربعة آلاف لكل رجل منهم، وفرض لعمر بن أبي سلمة لمكان أمه سلمة أربعة آلاف، وفرض للحسن والحسين خمسة آلاف خمسة آلاف لمكانهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم فرض للناس ثلاثمائة ثلاثمائة وأربعمائة أربعمائة للعربي والمولى، وفرض لنساء المهاجرين والأنصار ستمائة ستمائة وأربعمائة أربعمائة وثلاثمائة ثلاثمائة ومائتين مائتين، وفرض لأناس من المهاجرين والأنصار ألفين ألفين».[1]

ولم يكن عمر رضي الله عنه يضع نفسه في المقام الأول من العطاء كونه الخليفة وبيده حكم الدولة الإسلامية بشساعتها وملكها فكان يقول: « ضعوا عمر حيث وضعه الله»، ويمدنا ابن الطقطقى حول قول عمر هذا: "إنّ عمر رأى أن يجعل العطاء على حسب السبق إلى الإسلام وإلى نصرة الرسول عليه الصلاة والسلام، في مواطن حروبه، ثم استخدم الكتّاب في الدواوين وأمرهم بترتيب الطبقات وضبط العطاء، فقالوا: بمن نبدأ يا أمير المؤمنين؟ فأشار ناس من الصحابة عليه بأن يبدأ بنفسه، وقالوا: أنت أمير المؤمنين وتقديمك واجب، فكره

[1]- أبو يوسف: كتاب الخراج، ص 44.

عمر ذلك وقال: ابدأو بالعباس عمّ رسول الله، صلوات الله عليه، وببني هاشم ثم بمن بعدهم طبقة بعد طبقة، وضعوا آل الخطاب حيث وضعهم الله عز وجل".[1]

ولنا في هذا رواية أخرى رواها الطبري تؤكد عدم تفضيل عمر نفسه في العطاء على غيره من المسلمين، إذ أراد بنو عدي أقرباؤه أن يضع نفسه في المقام الأول أي مقام الخليفة، فهو الأولى بالتفضيل: "فجاءت بنو عدي إلى عدي، فقالوا: أنت خليفة رسول الله، قال: أو خليفة أبي بكر، وأبو بكر خليفة رسول الله، قالوا: وذاك، فلو جعلت نفسك حيث جعلك هؤلاء القوم! قال: بخ بخ بني عدي! أردتم الأكل على ظهري، وأن أذهب حسناتي لكم! لا والله حتى تأتيكم الدعوة، وأن أطبق عليكم الدفتر ولو أن تكتبوا في آخر الناس، إنّ لي صاحبين سلكا طريقا، فإن خالفتهما خولف بي، والله ما أدركنا الفضل في الدنيا، ولا نرجو ما نرجو في الآخرة من ثواب الله على ما علمنا إلا بمحمد صلى الله عليه وسلم، فهو شرفنا، وقومه أشرف العرب، ثم الأقرب فالأقرب، إنّ العرب شرفت برسول الله".[2]

أمّا الأسس التي وضعها الفاروق رضي الله عنه لثبت أسماء الناس في الديوان فهي:

1) درجة النسب المتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم.
2) السبق في الإسلام.
3) جهاد الأعداء: ومن ثمّ كان أهل بدر يتصدرون قائمة العطاء ويليهم في المكانة من شهد المواقع على الحديبية ثم من الحديبية إلى القضاء على المرتدين.

[1]- ابن الطقطقى: الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ص 84.
[2]- الطبري: تاريخ الطبري، ص 709.

4) جعل أهل الفترة الواحدة طبقة واحدة في العطاء بمعنى أنّ من شهد المواقع إلى الحديبية مثلا طبقة واحدة.

5) فضل أهل الحرب على قدر براعتهم في القتال.

6) البعد والقرب عن أرض العدو، وفضل من قربت داره عمّن بعدت داره عن العدو.[1]

وكان عمر يرى أنّ كل المسلمين من الجزيرة العربية إلى غاية فارس والعراق والشام إلا وله حق في هذا المال وله عطاؤه الذي أفاء الله عليه بخيراته التي أنعمها على المسلمين، فكان يقول: "والله الذي لا إله إلا هو، ثلاثا، ما من أحد إلا له في هذا المال حق أعطيه أو منعه، وما أحد أحق به من أحد إلا عبد مملوك، وما أنا فيه إلا كأحدهم، ولكنا على منازلنا من كتاب الله، وقسمنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، والرجل وبلاؤه في الإسلام، والرجل وقدمه في الإسلام، والرجل وعناؤه في الإسلام والرجل وحاجته، والله لئن بقيت ليأتين الراعي بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو مكانه".[2]

ولم يغفل عمر رضي الله عنه نصيب الأطفال في العطاء فكان يخصص للطفل المفطوم من الرضاعة قدرا من المال فإذا كبر زاد في عطائه لكثرة حاجته ومصروفه ببلوغه ولكن سرعان ما تفطن عمر أيضا إلى فرض العطاء للطفل المولود حتى لا يعرض المسلمون أطفالهم للفطام في سن مبكرة بغية الحصول على العطاء، يقول الماوردي: "وفرض للمنفوس مائة درهم، فإذا ترعرع بلغ به مائتي درهم، فإذا بلغ زاده، وكان لا يفرض لمولود شيئا حتى يفطم إلى أن سمع امرأة ذات ليلة وهي تكره ولدها على الفطام وهو يبكي فسألها

[1]- فتحية النبراوي: النظم والحضارة الإسلامية، ص 85.
[2]- الطبري: تاريخ الطبري، ص 709-710.

عنه؟ فقالت إنّ عمر لا يفرض للمولود حتى يفطم فأنا أكرهه على الفطام حتى يفرض له، فقال: يا ويل عمر كم احتقب من وزر وهو لا يعلم ثم أمر عمر مناديه فنادى: لا تجعلوا أولادكم بالفطام فإنا نفرض لكل مولود في الإسلام".[1]

وقد قام عمر بإشراك المسلمين العجم في ديوان العطاء فخصص لهم قدرا من العطاء، "فقد فرض عمر لدهقان نهر الملك ببغداد ولابن النخيرجان ولخالد وجميل ابني بصبهري دهقان الفلاليج، ولبسطام بن نرسي دهقان بابل وحطرنية، وللرفيل دهقان المال، وللهرمزان ولجفينة العبادي ألفا ألفا، ويقال أنه فضل الهرمزان ففرض له ألفين".[2]

ولاقت هذه السلوكية العمرية الرضى والقبول من عامة المسلمين، وبخاصة أنها لم تتعارض مع الأعراف والقيم السلوكية للقبائل الإسلامية المختلفة، ولا مع البنية القبلية للفاتحين، وتحقق العدالة من واقع نصيب القبلية في معيار ديني وهو الفضل والأسبقية في الإسلام ونصرته.

ويعدّ ديوان عمر إجراء تنظيميا فنيا يضبط علاقات المسلمين فيما بينهم بالنسبة لقسمة الفيء، وتخصيص توزيعه، وهو بالمقارنة مع ظروف تلك المرحلة حدث غير عادي، وتحول نحو مصالح الفئات الشعبية التي أخذت تتحسس عمليا حجمها المعنوي في مجتمع تتكافأ فيه الفرص والتضحيات بصورة نسبية.[3]

والواضح أنّ عمر دوّن الديوان وفرض العطاء لغرض أسمى هو تبليغ رسالة عظيمة هي رسالة الإسلام، وذلك ليتفرغ المسلمون للجهاد في سبيل الله،

[1]- الماوردي: الأحكام السلطانية و الولايات الدينية، ص 160.
[2]- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، ص 253.
[3]- محمد سهيل طقوش: تاريخ الخلفاء الراشدين، ص343.

"ولهذا منع قسمة الأراضي المفتوحة بين الفاتحين حتى لا يعملوا بالزراعة فتشغلهم عن الجهاد، وتجذبهم الأرض إليها فتنسيهم الرسالة الكبرى التي ألقى القدر عليهم أن ينهضوا بها، فقد ساعد تدوين الديوان وفرض العطاء أولئك المسلمين على أداء الرسالة".[1]

2. ديوان الجند:

ارتبطت نشأة ديوان الجند أو تسجيل أسماء الجند لمواجهة الزيادة التي طرأت على عدد الجند ومن ثمّ ضرورة إحصائهم وترتيب أمورهم وتوفير أعطياتهم، ومن أجل ذلك كان لابدّ من تخصيص ديوان للجند، وديوان الجند نشأ عربيا؛ حيث وضع الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أسسا للانتظام في ديوان الجند يتقدم وفقها أفراد الديوان في المرتبة والعطاء، وهذه الأسس تتداخل مع الأسس العامة التي يترتب وفقها الناس عند فرض العطاء.[2]

وقد أوضح الماوردي أهم الأسس التي سار عليها عمر في تسجيل الجند وقيمة العطاء في هذا الديوان فقال: "إنّ هذا الديوان يختص بالجيش من إثبات وعطاء فإثباتهم في الديوان معتبر بثلاثة شروط أحدها: الوصف الذي يجوز به إثباتهم، والثاني: السبب الذي يستحق به ترتيبهم، والثالث: الحال التي يقدر بها عطاؤهم".

أما الشرط الأول: وهو جواز إثباتهم في الديوان فيجب أن تراعى فيمن يثبت في الديوان خمسة أوصاف:

1) البلوغ.

---

[1]- المرجع السابق، ص 343.

[2]- سامي المغلوث: أطلس الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ص 314.

2) الحرية.

3) الإسلام.

4) السلامة من الآفات.

5) الإقدام على الحروب ومعرفة القتال.

فإذا تكاملت هذه الأوصاف كان إثباته في ديوان الجيش موقوفا على الطلب والإيجاب، فيكون منه الطلب، ولولي الأمر الإجابة إذا دعت الحاجة.[1]

الشرط الثاني: يقوم هذا الشرط على أساسين:

الأول: النسب؛ وهذا يعني ترتيب الأسماء حسب قبائلها ومدى قرابتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والثاني: يقوم على ترتيبهم الواحد بعد الواحد وفقا لسبقهم في الإسلام، فإن تكافئوا فبالدين، فإن تكافئوا فبالسن، فإن تقاربوا فتعتبر الشجاعة، فإن تقاربوا فلولي الأمر أن يختار أو يقترع بينهم، وله أيضا أن يجتهد رأيه.

أمّا الشرط الثالث: وهو تقدير العطاء بالكفاية، والكفاية كما يقول الماوردي معتبر على ثلاث أسس:

1) عدد من يعول من الذراري والمماليك.

2) عدد ما يربطه من الخيل والظهر.

3) الموضع الذي يحله من الغلاء والرخص.[2]

[1]- الماوردي: الأحكام السلطانية و الولايات الدينية، ص 162.

[2]- فتحية النبراوي: النظم والحضارة الإسلامية، ص 90-91.

من خلال هذه الشروط نرى أنّ عمر قد اتبع نفس الأسس التي قام عليها ديوان العطاء، فقد ميّز بين الجنود بحسب قرب النسب من رسول الله صلى الله عليه وسلم والسبق في الإسلام، ثم أضاف الكفاءة والشجاعة وراعى في عطاء الجندي عدد الأولاد الذين يعيلهم، وراعى غلاء المعيشة في المدينة التي تقطنها أسرته.

فقد فرض لأهل القادسية وأهل الشام ألفين ألفين، وفرض لأهل البلاء البارع منهم ألفين وخمسمائة فقيل له: لو ألحقت أهل القادسية بأهل الأيام؟ فقال: لم أكن لألحقهم بدرجة من لم يدركوا، وقيل له: قد سويت من بعدت داره، ومن قاتلهم عن فنائه، فقال: من قربت داره أحق بالزيادة، لأنهم كانوا رداءا للحقوق، وشجّا للعدو.[1]

ووضع عمر شروطا في ديوان الجند ألزمت الجنود الانقياد بها وإذا خالفوها تعرضوا لعقوبات، "فأجاز لبعض أعضاء الديوان أن يستعفي نفسه من الجيش، أمّا إذا دعت الحاجة إليه فلا يؤذن له بذلك، وإذا تخلف بعض أعضاء الديوان عن الحرب وهم أكفاء سقطت أرزاقهم، وكان الانتظام في ديوان الجيش يعني بالضرورة الالتزام بشروطه، وهي التفرغ التام للجندية والجهاد دفاعا عن الإسلام، وتكفلت الدولة في عهده باحتياجات الجنود من سلاح ونفقة ودواب وإذا مات الجندي أو قتل ورث أبناؤه عطاءه، وهو دين لورثته في بيت مال المسلمين".[2]

[1]- سامي المغلوث: أطلس الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ص 314.
[2]- فتحية النبراوي: النظم والحضارة الإسلامية، ص 91.

4-تطوير النظام الاقتصادي:

أسهم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تطوير النظام الاقتصادي للحضارة الإسلامية في عهده، وذلك بإنشاء بيت المال الذي يعتبر أول مؤسسة مالية، أنشئت في الإسلام لحفظ الأموال الفائضة عن حاجة الدولة ونفقاتها في العطاء الخاص بالمسلمين والجنود.

ولم يكن بيت المال موجودا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا في عهد أبي بكر حيث قضت سياستهما بتوزيع ما يأتي من الأخماس وأموال الزكاة إلى المدينة على من فيها، وقد رفض عمر في بادئ الأمر الخروج على هذه السياسة.[1]

فقد كان يرى أن يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم في تقسيم المال في حينه وعدم ادّخاره، فعن ابن عمر قال: قدم على عمر مال من العراق فأقبل يقسمه فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين لو أبقيت هذا المال لعدو إن حضر، أو بائتة إن نزلت، فقال عمر: « ما لك قاتلك الله نطق بها على لسانك شيطان لقاني الله حجتها، والله لا أعصين الله اليوم لغد، لا، ولكن أعد لهم كما أعد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم».[2]

ولكن سرعان ما فطن عمر وفكر في تنظيم الإدارة المالية للدولة الإسلامية وحفظ الأموال الفائضة عن حاجات المسلمين التي أخذت في التدفق باتساع

[1]- محمد سهيل طقوش: تاريخ الخلفاء الراشدين، ص 345.
[2]- ابن الجوزي: تاريخ عمر بن الخطاب، ص 95.

الفتوح، "فوافق عمر على تأسيس بيت للمال يحفظ الأموال الفائضة على أعطيات الجند والإنفاق الضروري على مصالح المسلمين".[1]

وتعددت موارد بيت المال والتي كانت تعتمد أساسا على الزكاة أو الصدقات التي تفرض على المسلمين وتعتبر رصيدا ماليا لجماعة المسلمين للإنفاق منه على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل وفي الرقاب وفي سبيل الله.

ولما اتسعت الدولة العربية الإسلامية وتدفقت الأموال فأصبحت موارد بيت المال من الفائض من مال الخراج والجزية والعشور.

وكان يجري تسجيل هذه المصادر المالية في بيت المال تحت إشراف جهاز ينتدبه الخليفة لهذه المهمة، وفي مقدمته المسئول الأول الذي صار يعرف "بصاحب بيت المال".[2]

فبتأسيس عمر لبيت المال أوجد معه أيضا جهازا إداريا ينظم واردات بيت المال وصادراته، فعيّن عمالا يقومون عليه ويشرف عليهم صاحب بيت المال.

"وكان جمع المال يستلزم أن يكون له أمناء، فكان زيد بن أرقم على بيت المال في عهد عمر، وروى أبو عبيد بسنده عن عبد القارى من قبيلة القارة: قال: كنت على بيت المال زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه".[3]

[1]- محمد سهيل طقوش: تاريخ الخلفاء الراشدين، ص 345.
[2]- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، ص 253-254.
[3]- علي الصلابي: فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب، ص 296.

5-أثر إسهاماته رضي الله في الحضارة الإنسانية:

أثرت إسهامات الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تطوير النظم الإسلامية أثرا كبيرا على الحضارة الإنسانية، فعملت إسهاماته على تطور الحضارة الإسلامية والإنسانية أيضا.

فنذكر أنّ رسائله إلى القضاة تعتبر دستورا في النظام القضائي للحضارة الإنسانية أجمع، فقد جعل للقاضي صفات وتعاليم عليه التحلي بها والالتزام بتأديتها، فكان القضاء في عهده قضاء عادلا يساوي بين المتخاصمين قريبهم كبعيدهم وضعيفهم كقويهم، وكان قدوة لقضاته في عدله يساوي بين المسلم والعجمي، وله بعض المواقف في هذا؛ " فقد حكم بالحق لرجل يهودي على المسلم، ولم يحمله كفر اليهودي على ظلمه والحيف عليه، أخرج الإمام مالك من طريق المسيب: أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه اختصم إليه مسلم ويهودي، فرأى عمر أنّ الحق لليهودي فقضى له، فقال له اليهودي: والله لقد قضيت بالحق".[1]

وتركت مقولة عمر لعمرو بن العاص أثرا كبيرا، حيث قال له: « متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟»، إذ خاطبت كلّ حكام الحضارة الإنسانية الذين تعبدوا الناس وهم بشر مثلهم، فالحاكم ليس إلا رجلا من الرعية ولكنه يحمل على عاتقه عبء المسؤولية التي ألقيت عليه وهي الحكم الذي يراه البعض سلطة وملكا لتعبد الناس وظلمهم لضعف سلطانهم، ونورد هنا رأي المستشرق "موير" في كتابه 'الخلافة' حيث يصف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قائلا: « كانت البساطة والقيام بالواجب من أهم مبادئ عمر، وأظهر ما

[1]- علي الصلابي: فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب، ص 113.

اتصفت به إدارته عدم التحيّز والتعبد، وكان يقدر المسؤولية حق قدرها. وقال: وكان شعوره بالعدل قويا ولم يحاب أحدا في اختيار عماله».[1]

وكتب الأستاذ "واشنجتون إيرفنج" في كتابه (محمد وخلفاؤه): « إنّ حياة عمر من أولها إلى آخرها تدل على أنه كان رجلا ذا مواهب عقلية عظيمة وكان شديد التمسك بالاستقامة والعدالة وهو الذي وضع أساس الإمبراطورية الإسلامية ونفذ رغبات النبي وثبتها وآزر أبا بكر بنصائحه أثناء خلافته القصيرة، و وضع قواعد متينة للإدارة الحازمة في جميع البلاد التي فتحها المسلمون».[2]

ويعدّ نظام العطاء الذي فرضه عمر للناس من خلال إنشائه للديوان دليلا بارزا على قوة عدله بين المسلمين، "وكل ما وصلت إليه الحضارة الحديثة في بعض البلاد، إنما هو التأمين الاجتماعي الذي تؤخذ نفقاته من الناس لترد عليهم بعد ذلك، حين يحتاجون في بعض الأمر إلى العلاج حين يمرضون، وإلى كفالة الحياة للشيوخ والضعفاء والعاجزين عن العمل لكسب القوت، وتأمين العمال من أخطار العمل، وتأمين الذين يخدمون الدولة والهيئة الاجتماعية على رزقهم حين تنقضي خدمتهم، فأمّا أن يكون لكل فرد من أفراد الأمة نصيب مقسوم من خزانة الدولة فشيء لم يعرف إلا منذ عمر رحمه الله".[3]

إذ كفل عمر بهذا النظام العيش الرخي للضعفاء والأطفال والأرامل وحتى اللقطاء، "ففرض لكل مولود في الإسلام، وكتب بذلك إلى عماله في الأقاليم، فكان ولي الطفل يأخذ عطاءه منذ ولادته ولا ينتظر به الفطام، وجعل للقيط مائة درهم، يأخذها وليه ويدخرها له، وجعل رضاعه ورزقه من بيت المال، يصيب

[1]- محمد رضا: موسوعة الخلفاء الراشدين، ص 43.
[2]- المرجع نفسه، ص 44.
[3]- طه حسين: الخلفاء الراشدون، ص 140.

وليه حق ذلك في كل شهر، فإذا ترعرع اللقيط زيد عطاؤه، وكان شأنه شأن أطفال المسلمين، وقد فرض عمر لنساء أرامل عطاء، فجعل لصفية بنت عبد المطلب ألف درهم، ولأسماء بنت عميس زوج أبي بكر ألف درهم ، ولأم عبد الله بن مسعود ألف درهم".[1]

وقد وصفه المستشرق "موير" في كتابه الخلافة بقوله: « ومع أنه كان يحمل سوطه ويعاقب المذنب في الحال، حتى قيل أنّ سوط عمر أشدّ من سيف غيره- إلا أنه كان رقيق القلب وكانت له أعمال سجلت له شفقته ومن ذلك شفقته على الأرامل والأيتام».[2]

ومواقف عمر اتجاه الأرامل والأيتام لم تكن شفقة كما وصفها "موير"، بل كانت صفة من صفاته وهي الرحمة التي غرسها الإسلام في المسلمين ومبدأ ومبادئه، ورحمته هذه كان يعتبرها مسؤولية الحاكم اتجاه رعيته، وبذلك شمل عدله الأرامل والأيتام، فلم تكن رحمته شفقة بل عدلا كان يراه واجبا عليه.

وقد مسّ رفق عمر وعدله الإنسانية جميعا فشملت أهل الذمة الذين خصهم بعنايته ووصاياه لعماله اتجاههم لأنّه تشبع بروح الإسلام وتعاليمه الإنسانية، "فمن ذلك أنه رأى شيخا ضريرا يسأل على باب، فلما علم أنه يهودي قال: ما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن! فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله. فأعطاه ما يكفيه ساعتها، وأرسل إلى بيت المال يقول: أنظر هذا وضربائه فو الله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم. إنما الصدقات للفقراء والمساكين، والفقراء هم المسلمون وهذا من المساكين من أهل الكتاب ووضع عنه الجزية وعن ضر بائه".[3]

---

[1]- المرجع السابق، ص 138-139.
[2]- محمد رضا: موسوعة الخلفاء الراشدين، ص 43.
[3]- عباس محمود العقاد: عبقرية عمر، ص 45.

كما أوصى عمر الخليفة الذي يأتي من بعده بأهل الذمة خيرا فقال: « أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيرا، أن يوفي لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم».[1]

ومن رفقه بأهل الذمة أيضا: أنه مر بطريق الشام وهو راجع في مسيره من الشام على قوم قد أقيموا في الشمس يصب على رؤوسهم الزيت، فقال: « ما بال هؤلاء؟ فقالوا: عليهم الجزية لم يؤدوها، فهم يعذبون حتى يؤدوها، فقال عمر: فما يقولون هم وما يعتذرون به في الجزية؟ قالوا: يقولون لا نجد، قال: فدعوهم، لا تكلفوهم ما لا يطيقون، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لا تعذبوا الناس فإنّ الذين يعذبون الناس في الدنيا يعذبهم الله يوم القيامة)، وأمرهم فخلى سبيلهم».[2]

[1]- أبو يوسف: كتاب الخراج، ص 125.
[2]- المصدر نفسه.

خاتمة

خـــاتمة

تتلخص في النتائج التالية:

-كانت الخلافة عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلاء ابتلي به و ليست شرفا و ملكا و جاها،و مسؤولية أمام الله سيحاسب عنها.

- جعل عمر رضي الله عنه الشورى أساس حكمه اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه.

- أقام العدل في الدولة الإسلامية حتى ارتبط اسمه بهذه الصفة في الحضارة الإنسانية أجمع.

- قسم عمر البلاد الإسلامية إلى ولايات و جعل على رأس كل ولاية وال يحكمها.

- كان الولاة في عهد عمر من أكفأ الناس و أجدرهم بهذا المنصب ،بحيث سار في اختيار ولاته وفق شروط ،و عمل على مراقبتهم بعدة وسائل منها تعيين محمد بن مسلمة الأنصاري كمراقب عليهم.

- كما عمل عمر على محاسبة ولاته بشتى الطرق ومعاقبتهم بما يراه مناسبا وواجبا عليه ،و ذلك حرصا على رعيته من الظلم و حرصا على استقامة ولاته.

- فصل عمر رضي الله عنه السلطة القضائية عن السلطة السياسية فجعل بجانب الوالي قاضيا،لخلق نظام قضائي عادل يكون فيه القاضي متفرغا لعمله وعين للقضاة راتبا يغنيهم عن التجارة و مزاولة عمل آخر.

- كانت رسائل عمر إلى قضاته تمثل تعاليم في نظام القضاء و على الوالي أو القاضي التحلي بها و العمل وفقها ،و تعتبررسالته إلى أبي موسى الأشعري دستورا في القضاء.

- أنشا الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الديوان لتسهيل عملية توزيع العطاء وفق الأسس التي وضعها في ديوان العطاء ،كما أنشأ ديوان الجند الخاص بأسماء الجند و تقدير رواتبهم.

- أدت كثرة الأموال الفائضة عن حاجة الدولة بعمر إلى إنشاء أول مؤسسة مالية في الدولة الإسلامية تسمى بيت المال.

مكتبة البحث

مكتبة البحث

- القرآن الكريم.(رواية حفص عن عاصم)

1. أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم: كتاب الخراج، بيروت: دار المعرفة، د.ط، د.ت.
2. أمين القضاة: الخلفاء الراشدون "أعمال وأحداث"، الجزائر: دار الآفاق، د.ط، د.ت.
3. أنور الرفاعي: النظم الإسلامية، دمشق: دار الفكر، ط8، 1427هـ-2006م.
4. ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد الجزري المتوفى سنة 630هـ: أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض-الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1424هـ-2003م.
5. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج: تاريخ عمر بن الخطاب، الجزائر: الزهراء للنشر والتوزيع، ط1، 1990م.
6. ابن الطقطقا، محمد بن علي بن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، بيروت: دار صادر، د.ط، د.ت.
7. ابن هشام، أبي محمد عبد الملك: السيرة النبوية، القاهرة: دار الفجر للتراث، ط3، 1431هـ-2010م.
8. حمدي شاهين: الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، القاهرة: دار القاهرة، ط1، 1423هـ-2003م.

9. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام "السياسي، الديني، الثقافي، الاجتماعي"، بيروت: دار الجيل، د.ط، 1430هـ-2009م.
10. حسن أحمد محمود: الدولة الإسلامية الأولى "عهد البعثة النبوية"، القاهرة: دار الفكر العربي، د.ط، 1419هـ-1998م.
11. حسين الحاج حسن: النظم الإسلامية، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات، ط1، 1406هـ-1987م.
12. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ العرب منذ ظهور الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، د.ط، 2008م.
13. سامي بن عبد الله المغلوث: أطلس الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الرياض: مكتبة العبيكان، ط1، 1426هـ-2005م.
14. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: تاريخ الخلفاء، تحقيق أحمد إبراهيم زهوة- سعيد بن أحمد العيدروسي، بيروت: دار الكتاب العربي، د.ط، 1426هـ-2005م.
15. صالح أحمد العلي: دولة الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة "دراسة في تكوينها وتنظيمها"، بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط2، 2004م.
16. صالح عوض: النظام السياسي في الفكر العربي الإسلامي، الجزائر: الشروق للإعلام والنشر، ط1، 2010م.
17. ضيف الله محمد الأخضر: محاضرات في النظم الإسلامية والحضارة العربية، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، د.ت.

18. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير المتوفى سنة 310هـ: تاريخ الطبري، عمان: بيت الأفكار الدولية، د.ط، د.ت.

19. طه حسين: الخلفاء الراشدون، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط1، 1973م.

20. عباس محمود العقاد: عبقرية عمر، الجزائر: مكتبة رحاب، د.ط، 1410هـ-1989م.

21. عبقرية الصديق رضي الله عنه، بيروت: المكتبة العصرية، ط2، 1429هـ-2008م.

22. عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم، بيروت: المكتبة العصرية، ط2، 1429هـ-2008م.

23. عصام محمد شبارو: الدولة العربية الإسلامية الأولى (1-41هـ/623-661م)، بيروت: دار النهضة العربية، ط3، 1995م.

24. عاطف عبد الوهاب حماد: شجرة نسب الخلفاء الراشدين والأحاديث الصحيحة في مناقبهم رضي الله عنهم، المدينة المنورة: مطابع الرشيد، ط1، 1419هـ-1998م.

25. علي محمد محمد الصلابي: فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب "أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه شخصيته وعصره"، الإمارات: مكتبة الصحابة، ط1، 1423هـ-2002م.

26. عبد عون الروضان: موسوعة تاريخ العرب، عمان: الأهلية، ط2، 2007م.

27. عبد الحكيم الكعبي: موسوعة التاريخ الإسلامي "عصر الخلفاء الراشدين"، عمان: دار أسامة، د.ط، 2009م.

28. عبد المنعم الهاشمي: موسوعة تاريخ العرب "عصر الرسول وخلفائه"، بيروت: دار ومكتبة هلال، ط1، 2006م.

29. كمال السيد أبو مصطفى- أسامة أحمد حماد: تاريخ الدولة العربية الإسلامية "تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية"، الإسكندرية: مركز الإسكندرية، د.ط، 2009م.

30. محمد حسين هيكل: الفاروق عمر، القاهرة: دار المعارف، ط9، د.ت.

31. محمد سهيل طقوش: تاريخ الخلفاء الراشدين "الفتوحات والإنجازات السياسية"، بيروت: دار النفائس، ط1، 1424هـ-2003م.

32. محمود شيت خطاب: عمر بن الخطاب الفاروق القائد، بيروت: دار مكتبة الحياة، ط2، د.ت.

33. محمد روّاس قلعجي: موسوعة فقه عمر بن الخطاب، بيروت: دار النفائس، ط4، 1409هـ-1989م.

34. محمد عبد الله عودة- حكمت فريحات- إبراهيم ياسين الخطيب: مختصر التاريخ الإسلامي، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، د.ط، 1989م.

35. محمد الخضري بك: إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء، مصر: المكتبة التجارية الكبرى، د.ط، د.ت.

36. محمد رضا: موسوعة الخلفاء الراشدين "أبي بكر الصديق، عمر بن الخطاب، عثمان بن عفان، علي بن أبي طالب رضي الله عنهم"، بيروت: المكتبة العصرية، د.ط، 1427هـ-2006م.

37. محمد السيد الوكيل: جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين "دراسة وصفية تحليلية لأحداث تلك الفترة"، جدة: دار المجتمع للنشر والتوزيع، ط5، 1423هـ-2002م.

38. مصطفى فايدة: تأسيس عمر بن الخطاب للديوان، الرياض: مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية، ط1، 1418هـ-1997م.

39. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي المتوفى سنة 450هـ: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، القاهرة: دار الحديث، د.ط، د.ت.

40. نبيه عاقل: تاريخ عصر الرسول والخلفاء الراشدين، دمشق: مطبعة أبي العلاء، د.ط، 1396هـ-1976م.

41. النبراوي فتحية عبد الفتاح: تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، القاهرة: دار الفكر العربي، ط9، 1999.

42. تأليف مجموعة من المؤلفين: موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية "تاريخ وحضارة صدر الإسلام"، القاهرة: دار الفكر العربي، د.ط، 2008م.

الفهرس

الفهرس

-إهداء

-شكر وتقدير

-**مقدمة** ..... أ

-**مدخل** 1

-**الفصل الأول:عمر بن الخطاب حياته**..... 17

1-النسب و المولد 18

2-إسلامه..... 21

3-هجرته..... 29

4-صفاته و الأحاديث الواردة في فضله..... 32

-**الفصل الثاني:خلافة عمر بن الخطاب و نظام حكمه**..... 47

1-بيعته 48

2-خلافته 56

3-نظام حكمه 63

4-عدالته 70

-**الفصل الثالث:إسهامات الخليفة عمر بن الخطاب في تطوير النظم الإسلامية وأثرها في الحضارة الإنسانية** 85

1-تطوير نظام الولاية على الأقاليم 86

2-تطوير النظام القضائي 109

3-تطوير النظام الإداري 125
4-تطوير النظام الإقتصادي 138
5-أثر إسهاماته في الحضارة الإنسانية..... 140
-خاتمة 144
-مكتبة البحث..... 146